

المقبر

البكتيريا

البكتيريا أو الباشلوس أو الميكروبات كانت حديثة الوضع للدلالة على الاحياء الصغيرة التي كشفها مؤخرًا المجهر المسمى بالميكروسكوب

وهذه الاحياء ليست حيوانات كما ينبا. والى الدهن من تسميتها بالاحياء بل نباتات في منتهى الصغر فلا ترى بالعين المجردة لان معظمها خال من الكلوروفل اي المادة الخضراء التي تتلون بها النباتات فضلاً عن انها في الصغر حتى لا يمكن لاحد الناس بصراً ان يرى اكبرها بدو ان يستعين بالآلة المعظمة او المجرة وهي الميكروسكوب او المجهر الذي ظهر الى عالم الوجود في القرن الماضي . ولذلك فالعلماء القديين عاشوا قبل القرن التاسع عشر لم يلمعوا شيئاً عن عالم الاحياء هذه التي اصبح درسها الآن علماً قائماً برأيه كثير الفوائد للانسان والحيوان من قبل الوقاية الصحية والفوائد الزراعية على ما سيبي في هذه المقالة التي ضمناها زبدة ابحاث العلماء ذوي الاختصاص حتى سنننا الحاضرة صفة البكتيريا وماهيتها وانتشارها - هي احياء نباتية ذات خلية او حوصلة واحدة شفافة اللون غالباً ، مستديرة او اسطوانية او مستطيلة الشكل تبعاً لانواعها، تنمو بالانقسام الذاتي فتتاز على غيرها بفقد القوة التناسلية العادية ويخلو جراثيمها من النواة . ومعدل قطر حجم جراثيمها الحوصلية نحو جزء من الف من المليمتر . والمجهر بجزء من الف من المتر

وهي قديمة العهد جداً كما تدل على ذلك آثارها في الاحافير المتحجرة في عصر تكون الفحم الحجري وما قبله . وتوجد في البرك والانهر والبحار ، وتكثر في المراحيض وروم الزبل ، وفي القواب ، وحيث تلتقي المواد المفضية فنتعفن ، وفي جميع السوائل كالم

واللبن والبيرا والماء على أنواعه ، وفي المواد الغذائية الجامدة كاللحم والخمير وغيرهما . وكل مادة من هذا القبيل اذا ظلت مدة معرضة للهواء تنشاها البكتيريا وتنوالد فيها بسرعة وكثرة هائلة . ولذلك فهي منتشرة في كل مكان تحت سطح الارض وعليه وفي الهواء وداخل الاجسام الحية . فهي عالم يعاشرنا ويعد بملايين الملايين ولم نكن نعلم عنه شيئاً بذكر حتى اواسط القرن الماضي

ويقل انتشار هذه الاحياء في الاعالي والبلدان المفتوحة الجوانب خصوصاً في الشمال حيث نقل جداً بالقرب من القطبة الشمالية او تعدم بشائناً . وينتج منها هواء البحر والاقیانوسات لانه في قلبه كثيراً ما يلامس الماء فيلقئها فيه ولذلك فهو البحر اقل نقلاً للمرض والعدوى به . وكلما ارتفعنا في الجبال قل وجودها حتى تكاد تنفقد على علو ٦٠٠ متر فافوق ذلك . ولهذا السبب تنسب مناعة اهل الجبال على بعض الامراض كالمهواء الاصفر وغيره مما لا تنقل ميكروباته الا بمحمولة على ذرات الغبار التي تنقل جداً في هواء الاماكن المرتفعة

وتعيش الميكروبات على الحيوانات في درجات مختلفة من الحرارة . والنبات اقل ملائمة لنموها لما فيه من السوائل الحامضة . الا انها تكثر ايضاً في الجذور والاغصان ذات الغدد تحت الارض وفوقها . وهي تكثر في القنابة الهضمية الا حيث تجتمع المفرزات الحامضة لان الحامض عدوها ولذلك يحسن معاطاته في اوقات انتشار الاوبئة . وقد عنى بعض العلماء مكانة كبرى على استعمال اللبن الرائب لما فيه من الحامض حتى نسب طول الحياة الى طول استعماله غذاءً

تولد الميكروبات ونموها وفعلها — تتولد الميكروبات بالانقسام الذاتي فتتخذ اشكال انواعها المتعددة بين مستدير وسمي وخيطي الخ . والعناد ان يكون انقسامها عرضاً لا طولاً فتنتش كالبراعة اذا نصفناها بالشق طولاً

وقد اثبتن بعضهم سرعة تولد هذه المخلوقات الصغيرة فزرع حو بصلة خو بطية منها في مرق الساعة ١١ صباحاً وكانت اشبه شيء بنقطة ترسم برأس ابرة فتضاعفت بعد ساعة بالانتفاخ وافرخت عند الساعة ٣ ١/٢ بعد الظهر وصارت عشرة اضعاف حجمها الاصلي عند الساعة ٨ ١/٢ فالتخذت شكلاً مستطيلاً معتدلاً وعند نصف الليل كانت قد بلغت ١٢ عقدة كل منها حو بصلة مستقلة . وبعد ذلك بدأت تنقسم عند ثلثها الاعلى انقساماً جانبياً بشكل قضبان دقيقة

وهذا الانقسام كثيراً ما يحدث في بعض الانواع بعد نصف ساعة من زرعها وما يشتق منها يعود فينقسم أيضاً بمثل هذا الوقت فيبلغ عدد ما يتولد منها في ٢٤ ساعة ملايين الملايين كما لا يخفى على الحساب . وبعد هذا الايضاح نعلم شدة الخطر جلياً من كثرة تولد الميكروبات الضارة داخل الجسم . بمثل هذه السرعة . ولا يكون على الجسم خطر منها الا اذا كانت من الانواع التي تترك في الدم مفرزات او بقايا سامة اي لا تلائم بطبيعتها طبيعة الدم لاختلاف مادته عن مادتها اختلافاً عظيماً

اما فعل البكتيريا في الجملد والاحياء، فعلى غاية الشأن . لانها هي التي تخمر العجين والخل والخمر وسائر المشروبات وتعديل المواد السائلة من دم وماء فتضر او تنفع تبعاً لكيفية هذا التعديل وهي التي تفتت الصخور وتسحل وجه الارض وتساعد على نمو النبات وحياة الحيوان بل قد عده بعضهم اصل جميع الكائنات العضوية . واليك اخص فعلها في الحيوان والنبات والجملد

فعلها في الحيوان — اهم افعال الميكروبات بالنظر الى حياة الحيوان ما تحدثه من المنفعة والضرر . فهي تفيد الحيوان من اوجه عديدة لا يتسع اتمام لا يراوها بما تفصيل ويكفي لتقدير نفعتها مكانة وجودها في الماء الذي نشرب . لانه اذا خلا منها بالتقطير صار ضاراً واذا خلت مياه اي نبع خلواً تماماً منها انقلبت سماً نافماً كما يعلم ذلك من اختصار الثنا بيع الشديدة الصفاء في بعض انحاء العالم فانها تفسر شار بها ضرراً بليغاً اذا اتنى منها ووجد الميكروبات

وقد ثبت بعد امتحانات باستور ان لاجي يتولد من غير الحي ولذلك فلا يفسد اللحم ولا تختمر السائلات على الواعها الا بفعل هذه الميكروبات ومفرزاتها . فهي التي تهيج انما تنتمى به من المشروبات المختمرة كالخمر والبير والابن الرائب والجبن والزبدة وغيرها مما لا يحيط به العدد . فلو فرضنا فقد هذه الميكروبات فجأة لانقلبت احوال المعيشة انقلاباً يهولنا نصوره . لانها هي التي يتم بواسطتها الاختار والتعفن وديغ الجلود وتخضير النيل والتبغ وسائر ما له اتصال برغد العيش خصوصاً انتهاء الزرع كما سيحي . فمعظمها نافع لذوات الحياة

غير ان بعضها يفرز في الدم مادة سامة فيمرض او يهيج المرض . وقد ثبت الآن ان جميع الامراض وفي جملتها القروح والبثور وغيرها مسبب عنها . ولا نستثنى من ذلك الا بعض العلل الناجمة عن فعل حيويونات ضارة

وبعد كشف كيفية فعل هذه الميكروبات صار من السهل شفاء الجراح بحفظها سليمة من الفساد وما الفساد الا فعل هذه المخلوقات الصغيرة في الدم . فكل ما يمتتها من الادوية والعقاقير يسمى مطهراً لانه يمنع افسادها للدم وميكروبات الامراض تختلف كثيراً في شكلها ومدة حياتها . فمنها ما هو ضخم الشكل كميكروب الكوليرا ومنها ما هو يضيوي او مستدير او غير ذلك . وبعضها لا يعيش بضعة ايام كميكروب الكوليرا الذي علم انه يموت بعد اسبوع من ولادته او اقل من ذلك . وغيره كميكروب الخناق او الدفتيريا قد يعيش سنة كاملة . وميكروب السل يعمر ابداً وتساعد المواد الحامضة على الفتك بالناس ليس لان الحامض يلائم طبعه بل لانه يهدم جدران الخلايا الرئوية المسببة لأمراضها التغذية المقوية الى حالة كلية . ولذلك فلا يجوز للسلول لناول الاطعمة الحامضة مطلقاً . واذا اقتصر على الاغذية القلوية ساعد الطبيعة على شفاؤه

فعلها في النبات — في التربة انواع من البكتيريا لا تعيش الا على المواد النباتية كما انه يوجد غيرها مما يعيش على المواد المعدنية . فيميكروبات النبات لتناول من الهواء المادة الكربونية فتمثلها احيى تهضمها وتغذات بها فتفصل بذلك النيتروجين وتبشر في جذور النبات . ومنها انواع تحمل الماء والهواء الى عناصرهما فتسهل على النبات الاغذاء بما يلائمه من هذه العناصر

ومما يستحق الذكر من افعالها ان بعضها يعمل عكس عمل الآخر فينكوت من هذه الاعمال دورة في تكييف المواد الغذائية تشبه الدورة للمائية التي تتم بتبخير الشمس لمياه الابحر وغيرها فتصعد المياه الى الجو حيث لتعقد مطراً يعود الى الارض فيتبخر ثانية ويصعد ثم يعود وهكذا . وعلى هذا المنوال تحول انواع البكتيريا المواد النشادرية في التربة الى نيترات نباتية يتناولها الحيوان بعد تحولها الى بروتيد ثم تعيدها البكتيريا الى نشادر ثم الى نيترات وهكذا كأن بيدها قياد العناصر الغذائية تصرفها طبقاً لتواقيس حفظ الوجود

وفي التربة نوع من البكتيريا الخيطية الشكل تدخل اهداب جذور النباتات القرنية كالقنول السوداني وتحترق نسيجها فتشله فتكون عقداً او عقداً تهذيها باثروجين . وهذا هو ممر تولد البطاطا وسائر الاثمار التي تحت الارض والعقد المصصية في السديان . وهي التي تُغمر تُغصب السكر ولحمه

وقد عني الألمان بتربية الانواع البكتيرية التي تخصب بعض النباتات وسموها بكتيريا التروجين لكثرة ما تقدمه من هذا العنصر لتغذية النبات . ويربى غيرهم غيرها مما يحسن به نمو الورد والقمح والقطاني والخضر وغير ذلك فتفعل فعل السماد «الزبل الطبيعي»

وطريقة استعمالها انهم يربون انواع البكتيريا في مادة تلائم نموها ثم يذرعون بهذه المادة البذر او يذرون منه في التربة المراد زرعها فيقبل الزرع إقبالاً غريباً . وفي أكثر عواصم أوروبا وأميركا الآن مستودعات لبيع هذا اللقاح البكتيري فمالى المزارعين عندنا الا ان يخذواخذوا مزارعي البلدان الراقية فيستفيدون ويفدون البلاد

فعلها في الجماد — اي المواد غير الآتية . من البكتيريا انواع انما تعيش على الجماد كالصخور والمعادن على اختلاف اجناسها فيكون لها المكانة المهمة في بنائها وهدمها مما يشبه الدورة المائية المذكورة آنفاً . فبكتيريا الكبريت مثلاً تفعل هذا الفعل بتوليدها الكلتيسيوم الذي تحول الى تجسيوم ثم الى كبريت ثم تحله وتعيده سيرته الاولى . ويقال مثل ذلك عن بكتيريا العفور والحديد وسائر المعادن . وتعد التربة لتكون صالحة لان يغتذي منها النبات ولان يغتذي من هذا الحيوان ثم تعود مغزات هذا وبقياءها الى التربة . فهي اول ممثل لا قدم اشكال الحياة المجزأة بقوة تحول عادات الحياة الى اشكال حيوية . ولذلك فلها المقام الاول في انشاء الحياة على سطح كرتنا الارضية حتى عدنا بعضهم اول جرثومة حية في الوجود كان لها شأن واي شأن على وجه البسيطة

وفوق ذلك كله قد انتج انبعاث التي تحدث الحرارة بشدة حركاتها عند تضسيد النبع بعضه فوق بعض وعند تكوين القطن والبن الخ حتى لقد يحدث اشتعال بعض هذه المواد اذا ساعدتها حرارة الطبيعة

وهي التي يضي بها سطح البحر لانبعاث كسد الهيدروجين المفصفر في الماء كما توكد الكحل في الخمر فيقلب خلاً

خلاصة — نحن عائشون في وسط عوالم خفية عن النظر تدعى البكتيريا او الميكروبات . ومعظمها نافع للانسان بما يحدثه من التغيرات المفيدة في الجو امد والسوائل . ويمكن انتقاء الضار منها بملقح الجسم بسم مخفف منها كصل الدفتيريا والقاح الجذري وغيرهما . وان هذه الاحياء تعيش في درجات متفاوتة من الحر والبرد . فبعضها يعيش في قلب الثلج وبعضها يبقى حياً في حرارة تبلغ أكثر من مئة درجة بمقياس سفتيفراد ولذلك يجب اتقاؤها بالحيططة الصحية التي فاعلتها الذهبية «احفظ بديك وعن شفتيك»

ولنا في أجسامنا من كريات الدم البيضاء خير واق من كثير من الميكروبات الضارة
لان هذه الكريات تبتلعها فتتبع انتشارها وتولد الدم بمفرزاتها
وقد علم ان التعب والجوع الشديد والتعرض للبرد جميع هذه تقلل مناعة الجسم
فتزيد به تعرضاً لفعل البكتيريا السامة . وان الحوامض تخفف فتكها بكريات الدم الحمراء .
وبعض الناس يمتنعون على بعض الامراض لعدم وجود لغة كيميائية بين خلايا اجسامهم
وبين ميم البكتيريا وهذا هو السر في نجاة الكثيرين من فعل الاوبئة في حين وقوع
غيرهم فريسة لها

ويقال اجمالاً ان درس طبائع البكتيريا واخصاصها لقوة الانسان في كثير من
الحالات من حسنات النصف الاخير من القرن الماضي الذي فتح باباً واسعاً للتوغل في
البحث البكتيري الذي لا بد ان ينتهي الى كشف حقائق نافعة تدهش العقول بما تحده
من الانقلاب في سير العمران وترقية حياة الانسان .

خليل سعد

بيروت

آيات العادات

يقف الناظر في دواوين الادب ومجاميع الشعر والاخبار على آيات غامضة المعنى
يشكل عليه فهمها بسميها علماء الادب بابيات المعاني . وقد دعوا قديماً بجمعها وتدوينها
ومشرح معانيها وتفسير مستغلقها الا ان يد الضياع تلاعبت بتلك الموهبات فلم يصل اليها
منها الا القليل ولم تقف على هذا النوع من الشعر الا مبعثراً مفرقاً في تضاعيف الاسفار
المختلفة . اذكر انني كنت اراجع مرة في شرح القاموس مع الامير محمود سامي باشا
البارودي فمر بنا قول القائل

فوردت مثل الجاني الهزاهز تدفع عن اعناقها بالاعجاز

فلم ينكشف لنا معناه مع اطالة الروية واجهاد الفكر الا بعد ان سألنا عنه استاذنا
الامام الشنقيطي رحمه الله فقال هذا من آيات المعاني يذكر ابلا وردت غديراً كالسيف
الصقيل في الصفاء وقوله تدفع عن اعناقها الخ يعني انها كثيرة الالبان ممثلة الصروع
وضروعها في اعجازها فاذا نزل الضيوف بصاحبها قرام من لبها فأغنى ذلك عن غيرها
فتكون دفعت عن اعناقها باعجازها قال ونظام الرجز (اعيت على مقصدنا والرجاز) انتهى

وقد عثرت على ضرب آخر من الشعراء لم يكن من هذا النقط فهو منه قريب
رأيت ان اجمع ما تيسر لي منه واسميه (بابيات العادات) وهي آيات ظاهرة اللفظ
والمعنى الا انها غامضة من جهة القصد والمرمى فلا يفهم مراد قائلها الا بمعرفة عادة من
عادات العرب او مزعم من مزاعمهم بني عليه البيت كقول الخنساء في رثاء اخيها معاوية
فلا والله لا تسلاك نفسي لفاحشة اتيت ولا عتوق
ولكني رأيت الصبر خيراً من التعلين والرأس الحليق

فليس في الفاظ البيتين لفظ غريب غير مفهوم كما ان معناهما ظاهراً في غاية الوضوح
وانما الاشكال في مرادها بالتعلين والرأس الحليق فاذا عرفنا ان العادة كانت عند
نساء العرب اذا احبن في حميم ان يحلقن رؤوسهن وتأخذ الواحدة منهن تملين في يديها
تصفق بهما وجهها زال عنا الاشكال واستبان لنا القصد . وفي معنى يتي الخنساء
قول عبد مناف بن ربيع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربيع عر يلها لا ترقدان ولا بوئسى لمن رقدا
كلماتهما أبطلت احشاؤهما نصباً من بطن حلية لا رطباً ولا نقدا
اذانا وب نوح قامتا معه ضربا اليما بسبت يلعب الجلودا
وهو نوع من الشعر لم ارم اعثنوا بجمعه اعتناءهم بابيات المعاني . فتنه قول زهير
ابن ابي سلى

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهدم
الزجاج بالكسر جمع زج بالضم وهي حديدة تكون في ساقلة الرمح والهدم السنان
ويكون في عاليته وظاهر المعنى ان من ابى الصلح ذلته الحرب او من لا يقبل الامر
الصغير اضطر الى قبول الكبير والبيت مع صلاحه لهذا المعنى فانه يتضمن شيئاً آخر من
عادتهم وذلك ان الفئتين من العرب كانتا اذا التقتا في القتال سددت كل واحدة
منهما زجاج الرماح نحو صاحبتهما ثم يسعى الساعون في الصلح فان ابتدا الا التماذي سيف
القتال قلبت كل واحدة منها الرماح واقتلتا بالاسنة
(ومن آيات العادات) قول النابغة الذهاني :

فبت كاني ساورني ضئيلة من الرقش في انسابها السم نافع
يسهد من ليل التام سليمي حلي النساء في يديه قعاقع
السليم الملدوغ وفانت عادتهم كما في لسان العرب وشرح الديوان ان يضعوا في ايدي

المهدوغ شيئاً من الحلي لثلاثين عاماً فيدب السم في جسده فيقتله ومثله قول الآخر
فبت معنى بالمعموم كأنني سليم نفي عنه الزفاد الجلال
قلت وغريب تقارب بعض العادات عند الأمم فقد حكى لي شيخ من من الجراكسة
أن من عاداتهم في بلادهم أنهم لا يدعون الجريح ينال ثلاثين يوماً على زمهم فيعملون
حوله من يقرع على طست أو قدر من النحاس ليوقفه كلما اغنى ولا يزالون يتناوبون
ذلك حتى يتم شفاؤه .

(ومن آيات العادات) قول الربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي
من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبهن بلطم من أوجههن بالاسحار
فإن مراده أن من كان شامئاً مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا وهن على هذه
الحال ليعلم أننا أخذنا بثأره فلا يثمت به وذلك لأن العرب كانت تندب قتلاها بعد
أدراك الثأر وقد حكى التبريزي أقوالاً أخرى في البيتين تخرجها عما نحن فيه .
(ومنها) قول الكيت

احلامكم لسقام الجبل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب
جاء في معاهد التنصيص قال ابن الأعرابي : كانت العرب تقول من أصابه الكلب
أو الجنون لا يبرأ منه إلا أن يسقى من دم ملك فهو يقول إن ممدوحه أرباب العقول
الراجحة ملوك وأشرف ومثله قول القاسم بن حنبل من شعراء الحماسة
بنات مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء
وقد حكى التبريزي في شرحه نحواً مما حكاه ابن الأعرابي ثم قال وقيل في دوائه
أن تشرط الأصبع الوسطى من يسرى رجل شريف ويؤخذ من دمه قطرة على تمر
فيطعم المعفوض فببراً وقيل أنه يسعط به انتهى . ومثله قول عبد الله بن الزبير
(بفتح الزاي وكسر الباء) الأسدي في عبده بن زياد

من خير بيت علماء وأكرمه كانت دماؤهم تشفي من الكلب
وقول عبده بن قيس الرقيات
عاودني النكس فاشتفيت كما تشفي دماء الملوك من كلب
وقول ابن عباس الكندي لبني أسد في قتلهم حجر بن عمرو
عبيد العصا جثتم بقتل رئيسكم تريقون تامورا شفاء من الكلب

الثامور هنا الدم . وكلهم اتفصروا على ذكر الكلب وقد جمع الفرزدق بينه وبين الجنون فقال :

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا شقتها وذو الغبل الذي هو أدلف
وذكر الجنون عامم بن فرية الجاهلي فقال :

ودأوبته بنا به من بحنة دم ابن كحال والنطاسي واقف
وقلدته دهرأ قمحة جده وليس لشي كاده الله صاوف

صادف بمعنى صارف . قال الجاحظ وكان اصحابنا يزعمون ان قولهم دماء الملوك شفاء من الكلب على معنى ان الدم الكريم هو الثأر المنيم وان داء الكلاب على معنى قول الشاعر :

كلب من جس ما قد سه وافانين فواد محتل

وعلى معنى قولهم (كلب بضرب جهاجم ورقاب) فاذا كلب من النيط والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب وليس ان هناك دماء في الحقيقة يشرب ولولا قول عامم ابن الفرية (والنطاسي واقف) لكان ذلك التأويل جائزاً انتهى كلامه . قلت وقد تطرف البحترى فقال يهني من انتصد واخرجه مخرج هذا الزعم عند العرب
ليهنك البره مما كنت تأله وليهنك الاجر عقي صائب الوصب
لئن فصدت ابتغاء البره من سقم فقد ارقت دما يشني من الكلب
(ومن آيات العادات) قول القائل :

ولا عيب فينا غير عرق لعشر كرام وانا لا نخط على النمل

النمل هنا جمع نملة وهي فرحة تخرج في الجسد ولولم يكن البيت مبنياً على عادة لهم لما كان معنى لا تفخار به انه ممن لا يخطون على تلك القروح ولكن مراد الشاعر اننا لسنا بجوس تزوج الاخوات لزعم العرب ان ابن الجهمي اذا كان من اخته وخط يده على النملة ابرأها كذا في كذايات الجرجاني وذكر صاحب اللسان والعلامة ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق الى علوم القرآن واهل البيان ان ذلك من زعم الجوس انفسهم . قلت لا مانع من ان يكون انتقل منهم الى العرب فاعتقدوه وضافوه الى مزاعمهم في الجاهلية كما انتقلت لبعضهم اشياء من التمجس عن الفرس .

(ومنها) قول سيرة بن عمرو الفهمي

انسى دفاعي عنك اذ انت مسلم وقد سال من ذل عليك قراقر

ونسوتكم في الروح باد وجوهها 'يخاف' اماء والاماء حرائر
وذلك لان الحرائر كن في مثل ذلك الوقت يتشبهن بالاماء سيفه كشف وجوههن
ليزهد فيهن فيأمن السبي كما في شرح الحماة لانتبريزي وقال ايضا في تفسير قول
عمرو بن معد يكرب

لما رأيت نساءنا يفحصن بالميزاء شدا
وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى

ان المعنى برزت كاشفة عن وجهها كأنها قد ارسلت نقابها ودل على هذا بقوله
كأنها بدر السماء اذا تبدى وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تأمن السباء او لما
تدخلها من الرعب انتهى . قلت وليس من هذا ما انشده الاشناداني في كتاب معاني
الشعر لذي الخرق الطهوي او لغيره

ولما رأين بني عاصم ذكرن الذي كن أنسينه
فوارين ما كن حصرنه واخفين ما كن ابدينه

لان معناه كما فسره انهن نساء قد سبين قسرين الحياء وابدين وجوههن فلما رأين
بني عاصم ايقن انهن قد استنقذن فراجعن حياءهن فسترن ما كن ابدينه انتهى .
(ومنها) قول عنترة

تركت جريمة العمري فيه شديد العير معتدل شديد
فان يبرأ فلم انت عليه وان يفقد فحق له الفقوم

يريد تركته وفيه سهم شديد العير والعير الثاني وسط النعل والبيت الثاني بني على
عادة كانت لهم وهي ان الرجل منهم كان اذا رمي بسهم واراد سلامة الرمية منه رقى
سهمه واذا اراد الاهلاك لم يفعل ذلك

(وهي) قول كبشة اخت عمرو بن معد يكرب

ارسل عبد الله اذ حان يومه الي قومهم لا تعقلوا لم دمي
ولا تأخذوا منهم افالا وابكرا واترك في بيت بصعدة مغالم

البيت الاول مخروم وصعدة مختلف من مخالفات الين والمعنى ان هذا المرثي ارسل
يقول لقومهم بلسان الحال لا تأخذوا بدل دمي عقلا اي دية وتتركوني في قبر مغلم تريد
بذلك تحرمهم على اخذ الثأر ولا يفهم من ظاهر قولها بيت مغلم الا حكاية الحال لان
القبر لا يكون الا مغلما ولكن الامر ليس كذلك بل هو مبني على ما كانوا يزعمون ان

قبر المقتول لا يزال مظلماً حتى يثأروا به فإن فعلوا ضاء .

(ومنها) قول جرير يرثي قيس بن ضرار

أظن أنهال الدمع ليس بـتـهـ عن العين حتى يضمحل سوادها

و"حق" لقيس أن يباح له الحلى وإن تعقر الوجنا إن خف زادها

وهو مبني على عادة لم وهي أن الرجل كان إذا مر بقبر رئيس وهو في صحبة أحب أن ينوب عن المتجور في الضيافة وإذا لم يساعد من الطعام ما يدعو الناس إليه عقر نافته أكراماً له . ولما قتل ربيعة بن مكرم كان لا يمر بقبره أحد من العرب إلا عقر عليه دابة أو بعيراً حتى مر به شيخ كبير فقال لا عقر نافتي ولكن أريته مكان ذلك ورثاء بقوله :

لا يبعدن ربيعة بن مكرم وسقى الغواذي قبره بذنوب

نفرت قلوب من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب

لا تنفري يأتاك منه فإنه شرّيب خمر مسعر لحروب

لولا الدمار وبمدخرق مهـمـ لتركها تجو على العروق

فكان أول من ترك العقر عليه

(ومنها) قول الحطيئة

قد ناضلوك وسلوا من كنانتهم مجدأً تليداً ونبلاً غير أنكاس

قال التبريزي في شرح الحماسة أراد بالمجد التليد أن الشجاع منهم كان إذا أمر فارساً مذكوراً فن عليه جزن ناصيته وجعلها في كنانته . وفسره ابن أبي الأصبع سيفه كتابه بديع القرآن تفسيراً آخر فقال معنى هذا البيت لا يعرفه إلا من عرف أن عادة العرب إذا منوا على أسير أعطوه نبلاً من ثيابهم عليها إشارة تدل على أنها لأولئك القوم لا تزال في كنانته فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح أن عدلك لما فاخروك سلوا من كنانتهم نبلك التي أعطيتها لم حين مننت عليهم تشهد لك بأنهم عنقاؤك فكان هذا مجدأً تليداً لك لا يقدر أن يجهده ثلبته لك هذه النبل التي ليست بأنكاس يعني الصائبات التي لا تنكس إذا ناضلت بها عن العرض وهذا غاية المدح للممدوح ونهاية الهجاء لعداء إذا خبرناهم مع معرفتهم بفضلهم بفاخروهم بما إذا اظهروه أثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجهل منهم والغباء انتهى كلامه .

(ومنها) قول سحيم هدي الحساس

فكم قد شققنا من رداء منير ومن برقع عن طفلة غير عانس
 اذا شقَّ برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كئسا غير لابس
 جاء في شرح شواهد الجمل ان العرب كانت تقول ايما امرأة احبت رجلا فلم يشق
 برقعها وتشق هي رداءه فسد ما بينهما انتهى . و يروى (اذا شق برد شق بالبرد مثله)
 وسكوا ان العرب كانت تزعم ان المختابين اذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت
 مودتهما ولم تفسد .

(ومنها) قول عمر بن ابي ربيعة

أهيم بها في كل ممسى ومصبح واكثر دعوها اذا خدرت رجلي
 لانهم كانوا يزعمون ان الرجل اذا خدرت رجله وذكر من يجب او دعاه ذهب
 خدرها . ومثله لجليل

وانت لعيني قرة حين نلتني وذكرك يشفيني اذا خدرت رجلي
 (ومنها) قول الاعشى

وبأمر للجحوم كل عشية بقت وتعلق فقد كاد يستق

روى الثعالبي في فقه اللغة بعين بدل قت . والجحوم فرس كان للنعمان بن المنذر
 والسبق في الدواب بمنزلة النخعة في الانسان وليس في ظاهر معنى البيت ما يستحسن بل
 قال فيه بعض من لا يعرف عاداتهم ان القيام على الفرس والاهتناء بعلفه حتى يكاد
 يغتم ليس مما تمدح به السوقة فضلا عن الملوك ومراد الشاعر وراء كل هذا لانه بناء
 على عادة كانت للملوك العرب وذلك انه بلغ من حزمهم ونظرم في العواقب ان احدهم
 لا يبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قربا منه مخافة عدو يقبضه او
 حالة تصعب عليه فكان للنعمان فرس يقال له الجحوم يتعاهده كل عشية وهذا مما تمدح
 به العرب من القيام بالغيل وارتباطها بانثية البيوت كما في العقد الفريد . وقد ذكر
 الاعشى الجحوم ايضا في قوله

او فارس الجحوم يتبعهم كالطلق يتبع ليلة البهر
 يعني بفارسه النعمان وقال ليبد

والخارثان كلاما ومحرقي والنعمان وفارس الجحوم

(ومنها) قول الشاعر

كفالك الله يا ههم بن لا ي حبال بني ابيك وم عيام

إذا مروا ببيزك لم يعرجوا ولو غطى سبيلهم الظلام
عيام اي شهاوى الى اللبن وبيزك يعني بنواحيك جمع جيزة بالكسر . وكان
من عادتهم ان الرجل كان يحمل حبلا ويسترفد عشرته فاذا اعطى الشاة والحاشية من
الابل ربطها بالحبل كذا في معاني الشعر للاشتانداني والبيت اقرب لآيات المعاني .
لايات العادات .

(ومنها) قول الآخر يصف حمرا

يلوي مجامع لحيه فكأنه لما تحفظ في السجيل نقيب

نقيب اي منقوب الحنجرة وكان من عادة العرب اذا اشتد الزمان نقبوا حنجرة
الكلب او غلصته ليضعف صوته . فلا يسمع الضيف صياحه فثبه نهيق هذا الحمار
بصياح الكلب النقيب . وفي اللسان ان ذلك كان يفعله الجلاء من العرب لئلا
يطرقهم ضيف باستماع نباح الكلاب . واشتد الاشتانداني في معاني الشعر
تجاوبن اذ بركن والليل غاسق تعاوي منقوبات جبي محارب
وقال في تفسيره المنقوبات الكلاب كانوا اذا اشتد الزمان نقبوا لسان الكلب
لئلا يسمع نباحه يقول فهذه الابل كأنها منقوبات يصف ابلا معيبة فهي ترغو رغاء
ضعيفا .

(ومنها) قول الآخر

تلفت نحو الحي حتى وجدتي وجعت من الاصفاء ليتا واخذع

فظاهر معناه انه لشدة شوقه الى الحي اكثر التلفت نحوه حتى وجعته عنقه .
ولكن الراغب الاصفهاني في محاضراته حمله على عادة كانت لهم وهي زعمهم ان المسافرين
اذا خرج فالتفت لم يتم سفره قال فالتفتاته لانه كان عاشقا فأحب ان لا يتم سفره ليرجع
الى من يحب .

(ومنها) قول بشر بن ابي خازم (بالغاه المجععة والزاي)

تظل مقاليت النساء يطأنه يقان الا يلقى على المرء مئزر

المقاليت جمع قلات بالكسر وهي التي لم يبق لها ولد . والبيت مبني على ما كانت
العرب تزعم ان المقالات اذا ولدت رجلا كرميا قتل شذرا عاش ولدها كذا في اللسان
(ومنها) قول متم بن نويرة في اخيه مالك

لقد كفن المنهال تحت ردائه فني غير مبطان العشيات أروعا

وكان المنهال قتل مائكا والرداء هنا السيف وكانت العادة عند العرب اذا قتل الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله كما في اللسان .
(ومنها) قول القائل

فقات لما عين النجيل تعيفا وفيهن رعلاء المسام والهامي
انشده الجاحظ في البيان والشيدين والفعل بفتح فكسر الفحل الكريم وانشد ايضا
ومب لنا وانت ذوامتنان ثقفا فيها امين البعران
وانشد ايضا

فكان شكر القوم عند المتن كي الصحيجات وفقه الاعين
وكلها مبنية على عادة كانت لم ذكرها الجاحظ وهي انهم كانوا اذا بلغت ابلم الف
فقوا عين الفحل فان زادت فتوا عينه الاخرى قال فذلك المفق والمعمي . وفي مادة
(عمى) من اللسان قال الازهرى وقرأت بخط ابي الهيثم في قول الفرزدق
غلبتك بالمقي والمعمي وبيت المحنبي والخلفات

قال نضر الفرزدق في هذا البيت على جرير لان العرب كانت اذا كان لاحدم الف
بغير فق عين بغير منها فاذا تمت الفان عماء وأعماء فانفخر عليه بكثرة ماله قال والخلفات
الرابات انتهى ما في اللسان . نلت اذا كان معنى البيت على ما فهمه ابو الهيثم كان
الصواب ان يكون المفق بصيغة اسم المفعول لا بصيغة اسم الفاعل . وقد روى البيت في
مادة فقاً (بالمقي والمعمي) بالنون ونقل المصنف عن الليث ان العرب كانت في الجاهلية
اذا بلغ ابل الرجل منهم الفاقنا عين بغير منها وسرحه حتى لا ينتفع به ثم حكي عن
الازهرى ان معنى المقي في هذا البيت ليس على ما ذهب اليه الليث وانما اراد الفرزدق
قوله لجرير

ولست ولو فقات عينك واجدا أبالك ان هد المسامي كدارم
انتهى . قلت القول ما ذهب اليه الازهرى لما سيرد عليك والظاهر ان الذي حمل
الليث على ان يفهم في المقي ما فهم كون المعنى يطلق على حمل كانت اهل الجاهلية
ينزعون مناسن فقرته اي حروفها وبقرون سنانه لثلا يركب ولا ينتفع بظهوره بفعل
ذلك الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة ليعرف انه عمي . فظن الليث ان الفرزدق اراده
مفعل المقي عليه وكان وجه على ما فهم ان يرسم ايضا بصيغة اسم المفعول كما قدمنا .
والصواب في معنى البيت ما ذكره صاحب اللسان في مادة (عفا) نقلا عن ابن سيده

ان مراد الفرزدق بالمعنى، يشته في جرير المتقدم ذكره ومراده بالمعنى (ضبط بكسر
التون) قوله له

تعنى يا جرير لغير شيء وقد ذهب القعائند للرواة
فكيف ترد ما بعمان منها وما بجبال مصر مشيرات
وتقل عن الجوهرى ان مراده بالمعنى قوله

فانك اذ تسعى لتدرك دارمك لأنك المعنى يا جرير المكاف
قلت وعليه يصح ضبط المعنى في بيت الفرزدق بالفتح . قال واراد بالحقى قوله
بيت زارة محنتى بفنائى ومحاشى وابو الفوارس نهشل
لا يحنتى بفناء بيتك مثلهم ابدا اذا عد الفعّال الافضل
واراد بالخافقات قوله

واين يقضى المالكان امورها بحق واين الخافقات اللوامع
اخذنا بأفاق السماء عليهم لنا قمرها والنجوم العلوانع
اي غلبتك باربع قصائد منها هذه الآيات وعلى هذا لا بعد البيت من آيات
العادات وانما اطلت الكلام فيه لانه كان سببا لخلاف استطراد سرره بين بعض الادباء
بمصر

(ومن آيات العادات) قول آدم مولى بلعبر
وان اراد جدل صعب أرب خصومة تنقب اوساط الركب
اطلعة من رتب الى رتب
من رجز بقوله لابنه انشد الجاحظ في البيان والتبيين . وقد يسأل لم كانت هذه
الخصومة تنقب الركب فالجواب انه كان من عادتهم اذا تخاسموا جثوا على الركب
(ومنها) قول عتبة بن بجير المازنى من شعراء الحماسة

ومستبج بات العدى يستبجيه الى كل صوت فهو في الرجل جانح
فقلت لاهلى ما بغام مطية وصار أضافته الكلاب النواج
فقالوا غريب طارق طوحت به متون الفياضى والخطوب العوارخ
وهذا مبني على عادة وهي ان الرجل من العرب كان اذا ضل وتغير في الليل فلم
يدر اين البيوت اخرج صوته على مثل النباح فتسمعه الكلاب وتظنه كلبا فتنبج فيستدل
بنباحها ويهتدي الى المكان . ومثله ما انشد ابو علي الغفالي في اماليه

ومستنجح بات الصدى يستجيبه فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له نارا ثقوباً زادها تليح الى الساري هلم الى قدري
وانشد ايضاً في معناه

ومبدر لي الشحنة بيني وبينه دعوت وقد طال السري فدعاني
يعني كلاً نفع له فتبجح فاعتدى به فكأنه دعاه بنجاحه . والآيات في هذا المعنى
كثيرة لا فائدة من سردها في هذه العجالة . وفي معنى استنجح ايضاً كلب الرجل
يكلب من باب ضرب واستكلب انشد ابن سيده في المختصر على الاول
وداع دعاء بعد ما افقرت عليه البلاد ولم يكلب
وانشد صاحب اللسان على الثاني : ونفع الكلاب لمشكل :
(ومنها) قول لبيد

والقد حمت الحي تعمل شكتي فرط وشاحي اذ غدوت لجامها
الفرط بضمين الفرس المتقدمة السريعة والمعنى انني توشحت بلجام هذه الفرس
وهو مبني على عادة ذكرها التبريزي في شرح المعلقات وهي ان الفرسان كان احدهم
يتوشح بلجام فرسه ليكون ساعة يفزع قريباً منه وتوشحه اياه ان يلقيه على عائقه ويخرج
منه بده . ومنه قول زياد بن حمل من شعراء الحماسة
ليست عليهم اذا يغدون اربعة الاجنياد قسي النبع والجم
(ومنها) قول القائل

قلبت ثيابي والظنون تجول بي وترمي برجلي نحو كل سبيل
فلا يا بلائي ما عرفت جليبي وابصرت قصداً لم يصب بدليل
لان عاداتهم كانت اذا ضل رجل منهم في فلاة قلب قبضه وصفي يديه كأنه
يومي بهما الى انسان يزعمون انه ان فعل ذلك اعتدى . هذا ما تبسر لي جمعه الآن
فان ظفرت بشيء بعد ذلك الحقته به .

احمد نيمور

القاهرة

الشرطي والورق

اللغوي اذا عثر على لفظه ووقف على اصلها ومعناها ومأناها بقر عيناً ويطيب نفساً ويطلع صدره كأنه وقع على كنز ثمين . ومن اغرب الامور ان المستشرقين يبدلون شرطاً صالحاً من اوقاتهم لتتبع معرفة اصول جميع الكلم السامية ولا سيما العربية . ولا ترى من ابناء العرب من يعنى بمثل هذا الامر . واذا رأت نقرأ يكتبون في هذا الموضوع من الناطقين بالصاد فلا ترام يخرجون عما جاء في كتب الاجداد الاولين ولا يوردون من الكلام الا ما نافع له الخلف عن الساب بدون ان يشكوا كلام الغائل ولا ينعموا النظر فيه اذا كان مصيباً في رأيه هذا او مخطئاً فترى كتبنا اللغوية الحديثة لا تخرج عن كتب الاقدمين ولو تقدم هذا العلم عند باحثي الافرنج من اللغويين المستشرقين تقدماً عظيماً وظهر بمظهر النور في الدياجي .

فالى متى نبقى في هذه الحالة المفرغة في قالب الجود او الخمود او الركود ؟ الم يحسن الآن الذي نكسر فيه قيود الامر والرق ونطلق نفسنا من هذه السلاسل الضخمة التي بقيت راسخين فيها الى يومنا هذا ؟ بلى . لقد حان بل لقد فات الوقت كما فالتنا في امور حمة ونحن في غفلة عنها وذحول .

على ان بعض كتاب العصر اخذوا يتابعون علماء الغرب من المولعين بالالفات الشرقية في ابحاثهم وآرائهم ومذاهبهم وهبوا بحارونهم واي مجارة حتى كادوا يفقدونهم سيف بعض الابحاث . بيد ان بعضهم قاموا يقلدونهم تقليداً اعمى حتى انهم اذا رأوا ان غريباً قال بقول لم بعد الشرقي يتجاسر على مخالفة رأيه ظناً منه ان الافرنج اذا اوتروا القوس اغرقوا فيها ولا يتركون لمن ينزع فيها من بعدهم منزلاً كما لا يبقون له منزلاً . وهذا وهم ظاهر لكل ذي عينين اذا ما اراد ان يتروى في الامر ادنى ترو .

هذا ولنا نحن عدة شواهد اثباتاً لقولنا هذا . وهي وان كان بطول سردها جميعاً الا انه لا يحذر بنا ان لا نذكر منها بعضاً اثباتاً لقولنا واظهاراً للحق . فهذه كلمة شرطي او شرطة فان اللغويين قد ذهبوا فيها لمذاهب . فمنهم من قال بانها عربية فصلى ومنهم من انكر اصلها هذا وجماعة ذكرت انها من معدن رومي او لاتيني ومنهم من خالف هذه الآراء . وما نحن ذا نورد بعض الشواهد .

قال في القاموس : « الشرطة بالفهم واحد الشرط كهمرد وهم اول كتيبة تشهد

الحرب ولتتبعاً للثوت وطائفة من اعوان الولاية م وهو شرطي كثير وكثيري وجهي . سمو بذلك لانهم اُعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها . اهـ . والى هذا الرأي ذهب السيد المرتضى . فزاد على ما سبق : قاله الاصمعي . وقال ابو عبيدة : لانهم اُعدوا (اي اعدوا انفسهم لذلك واعلموا انفسهم بعلامات) . وبمثل هذا القول قال صاحب لسان العرب بل وجميع اصحاب المعاجم اللغوية بدون ان يشذ واحد منهم . وتأجهم في ذلك لغويو الانرج اصحاب المعاجم العربية الافرنجية كـ توليوس وفرديناغ وفزميرسكي ولين وغيرهم .

على ان هذا الرأي لا يمكن ان يتسك به اللغوي . والسبب هو : لو كان الحرف مأخوذاً من الشرط لقالوا فيه « شارط » كضابط مثلاً من الضبط . او « مشطرت » كملتزم . او نحو ذلك من المشتقات الدالة على الفاعلية لا لشرطي بضم ففتح او بضم فسكون بل وكيف قالوا الشرطة . فلا شك ان اللغوي المتبحر حقائق الاصول ودقائق الفصول لا يقع بهذا القول غير المعقول . فهي ولا جرم لمن الالفاظ الدخيلة وقدراته لها المستشرقون . واول من ذهب الى هذا الرأي فرنكل الالماني صاحب كتاب الالفاظ الارمية في اللغة العربية اذ قال : والاحسن اني احب ان يقول علماء العربية انها كلمة مصرية يونانية من *Cohore* او لعلمها اليونانية (*Chortha* =) وتأثره في ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق اذ يقول : « من المحتمل ان يكون مهرباً عن *Cohore* مثل كردوسة » .

قلنا : وهذا ايضا لا يمكن ان يكون صحيحاً لان هذه اللفظة الاجنبية ان كانت مصرية يونانية او رومية محضة فهي لا تدل الا على طائفة او جماعة من العسكر والجنود ولا ترد بمعنى المفرد . والحال ان صح هذا الكلام عن الشرطة فلا يصح عن الشرطي فيجب ان تكون اللفظة الاصلية المثقولة عنها مفردة ليصح فيها التعريب او النقل عنها بصورة المفرد . وهذا يصح اذا قلنا انها تعريب اليونانية (*Stratiotes*) وبالفرنسية (*Stradiot*) او (*Estradiot*) وهي بمعنى الشرطي العربية كما ان الشرطة هي تعريب (*Stratiotas*) ويراد بها كتبة الزحف او الجيش الزاحف الذي : « هذا الحرب وبتتبعاً للثوت » . او من (*Stratos*) بمعناها

ومن هذا القبيل كلمة ورق والرقعة المراد بهما الدراهم المضروبة . فقد قال الفيروز آبادي : الورق مثلكة . وككتف وجبل : الدراهم المضروبة ج اوراق ووراق كالرقعة .

وزاد صاحب التاج : قال ابن سيده : وربما سميت الفضة ورقاً . يقال اعطاه الف درهم رقة لا يخالطها شيء من المال غيرها . وقال ابو الهيثم : الورق والرقعة : الدراهم خاصة . وقال شمر : الرقة : العين ويقال هي من الفضة خاصة . ويقال الرقة الفضة والمال . عن ابن الاعرابي الى آخر ما هناك من الكلام الدال على ان الورق عندهم من الاصل العربي الفصحى الصحيح الصحيح حتى انه لم يخطر على بال لغويي العرب انها دخيلة في لسانهم . وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج ايضا اصحاب المعاجم العربية ولم يرتابوا في عجمتها او في عربيتها اذ قلدوا العرب في اغلب الاحيان عند نقلهم المعاجم الى لغتهم .

واول من نسبها لعجمتها في العربية فرنكل اللغوي الالماني المذكور اذ ذكر انها من الارمية (يرق) او من الحبشية « رقة » . قلت : وسيفي كلنا اللغتين لم ترد اللفظة في الاصل على ما يدل انها بهذا المعنى في اول وضعه بل يشتمل ان اللغتين اخذتا هذا المعنى عن العرب انفسهم .

ومن قال بعجمتها ايضا الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق ص ٢٦٠ سيفي الحاشية وهذا نص كلامه : « وفيه (اي الورق بمعنى الدراهم المضروبة) ثلاث لغات أخرى (كذا والاصح اربع لغات اخرى) : ورق . ورق . ورق (وزد عليها : ورق ككتف) ولا احسبه عربياً ولم يوجد في الكلام القديم « . ام . (كذا ولوتروي) . ان قال هذا التول . لان لفظة الورق وردت في شعر ثمامة السدوسي وفي الحديث وفي شعر خالد بن الوليد وفي كلام كثيرين من الاقدمين عند مطالعة دواوينهم .) اما الصحيح عندي ان الورق من الفارسية تعريب « بره » بيا فارسية مثلثة رقيقة في الاول ثم را . وفي الآخر هاء غير منقولة . ويقال فيها ايضا باره بمعناها . ويراد بها مطلق القطعة وتخصص بقطعة الفضة المضروبة كما هو معنى البارة عندنا قبل خمسين سنة . ثم عوض عن البارة الفضية ببارة نحاسية وبقي الاسم عليها وان تغيرت المادة التي اخذت منها .

هذا وانت تعلم ان الهاء الفارسية في الآخر لنقل الى الفانف او الكاف او الجيم او الهاء في العربية . وقد صرح بذلك اغلب اللغويين كما في بابونج وبرذعة وبورق ونيزك واصلها بابونه وبرزعه وبوره ونيزه واما الباء المثالثة الفتحية الفارسية فتكون اما رقيقة . واما نجمة . واما رقيقة ونجمة معاً فان كانت رقيقة فننقل الى الواو بالعربية

او الباء الموحدة التحتية كما في بابوج وواشق اصلها بابوج وباشه واذا كانت مفتحة فتكون فاء في العربية كما في فارس واصفهان وان كانت بين المفتحة والمرقطة فهي تكون تارة بالباء وطورا بالواو واخرى بالغاء مثل قبان فيقال فيها قبان وقفان . قال الاصمعي : قفان : قبان بالباء التي بين الباء والغاء اعربت باخلاصها فاء وقد يميز اخلاصها بباء لان سيديويه قد اطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء (الراج في قفف) ومعنى قفان كل شيء : جماعه واسمقصاء معرفته .

وعليه قالوا في برة : ورق . وفي باره : باره . لكن لما توهم العرب ان الورق مشتق من ورق بل وانها مصدر ورق اجازوا فيها الوجهين فقالوا فيها ورق ورقة كما قالوا وعد وعدة .

واغرب من هذا انهم جمعوا ورقة على رقين كما قالوا في ابرة : ابرين . وقوم من العرب توهموا الجمع مفردا فوزنوه على فعيل بفتح الاول فقالوا : الرقين وفسروه بالدرهم والرقم ولعل الرقم ورد بهذا المعنى ايضا تحقيقا للرقين بالذون وهم يكثررون مثل هذا الابدال في آخر الالفاظ كقولهم : الائم والالين . الغيم والغين . اسود قائم وقائن . الحزم والحزن . البنان والبنام . القعم والقمن . ومثل هذه الالفاظ تعد بالاثبات .

فانظر حرصك الله كيف يتلاعب العرب بالالفاظ وكيف تتسع اللغة عندهم . وكيف يبعد مجرى الكلام عن ينبوعه ومصدره ويكاد ينسيك الاصل الذي اخذ عنه . كل ذلك من الاسرار الغامضة يتلذذ بالاطلاع عليها كل من له ذوق بهذه اللغة الشريفة البعيدة الغور

واذ قد اطلعت على اصل لفظة الورق وعلى انها من الفارسية علمت علم اليقين ان *pièce de monnaie* معناها كل قطعة من قطع المسكوكات كما نقول بالفرنساوية ثم اطلعت على دراهم الفضة او على مطلق الدراهم ان فضية او ذهبية او نحاسية بشرط ان تكون قطعة معدن مضروب لا غير .

هذا ما اردنا ايراده في هذا الباب ولما عدة شواهد من هذا القبيل

ساتنا

بغداد



رسائل الانتقاد

تابع لما سبق

قال أبو الريان ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لانه يخرجها عن نعتة شعراً
وليس مما يقع بان نعت بشاعر . فاما الاقواء . والايطاء . والسناد . والاكفاء^(١) .
والزخاف . وصرف . لا ينصرف فكل ذلك يستعمل الان السالم من جميع ذلك اجمل وافضل
قال ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقار بها مثل قول الكمي
حتى تكامل فيها الدل والتنب^(٢)

وكما قال بعض الآخرين في رثاء

فانك غيب في حفرة تراكم فيها نعيم وحور

وان كان النعيم والحور من مواهب اهل الجنة فليس بينها في النفوس تقارب . ولا
لفظة تراكم مما يجمع بين الحور ولا النعيم . ومثله قول بعضهم

والله لو لا انت يقال تغيرا وصبا وان كان التصابي اجدر

لأعاد لفاح الحدود بنفسجاً لثمي وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لان التفاح ثمرة والبنفسج زهرة . وقد أجاد في
جمعه بين الكافور والعنبر لانها من قبيل واحد . ولو قال

لأعاد ورد الوجنتين بنفسجاً لثمي وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف . واحسن الرصف . لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع
فانقذ . وهذا الشرع فاعتمد

قال أبو الريان ولفضلاء المولدين سقطات مختلفات في اشعارهم اذا كرك منها في
اشياء لتسندل بها الى اغراضك لا لطلب الزلات . ولا لاقفاء العرات . كان
بشار ثباين طبقات شعره فيصعد كبيرها . ويهبط قليلها كثيرها . وكذلك كان حبيب
ابن أوس الطائي فاذا سمعت جيدهما كذبت ان رديهما لها . واذا صح عندك ان ذلك

(١) قال الخليل : الاقواء ان يكون بعض القوافي مرفوعاً وبعضها منصوباً وبعضها
محفوظاً . والاكفاء ان يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف آخر . والانطواء
اعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) .

(٢) وبكشاب الصنائع : خود تكامل فيها الدل والشب

الردي لها اقسمت ان جيديهما اغريهما . قال ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة
مثل قول حبيب اول قصيدة

من عوادي يوسف وصواحيه فعزما تقدمما ادرك الاو طالبه^(١)

ومثل قول ديك الجن اول قصيدة

كأنها يا كأنه^(٢) خلل الخ لمة وقف الهلوك اذ بغما

فابتدا هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو ردي قال وبما ايضا
الافتتاحات التطير بها . والكلام المضاد للغرض كابتداء قصيدة ابي نواس التي انشدها
الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهينه بنياته الدار الجديدة فدخل اليه عند كمالها وقد
جلس للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فأنشده

أربع البلى إن الخشوع لبادي^(٣) عليك وإني لم أخنك ودادي

فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه وناظر الناس بعضهم الى بعض ثم عادى نغتم الشعر بقوله

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم^(٤) بقي برك من رائحين وغادي

فكمل جله وتم خطاه وزاد القلوب المتوقفة للخطوب سرعة توقع . واضاف للنفوس
المتوجعة بذكر الموت شدة ترجع . وأراد ان يمدح فهجها . ودخل ليسر فشيحا . قال
وقرب من هذا ما وقع للجنبي في اول شعر أنشده كافورا

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا

فهذا خطاب بالكاف بفتح ولا سيما في اول لقية . وفي ابتداء واستعطاف ورقية .
وفي هذا البيت غير هذا من العيوب منذ كره بعد

ووقع مثل هذا من قبح الاسئلتاح في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء انشد بعض
الامراء في يوم المهرجان فقال :

(١) قال ابو هلال العسكري (كتاب الصنائع) « لما نظر ابو العميش في

قصيدة ابي تمام

من عوادي يوسف وصواحيه فعزما تقدمما ادرك الشاعر طالبه

استدزل ابتداءها فاسقط القصيدة كلها حتى صار اليه ابو تمام ووقفه على موضع
الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه »

(٢) روى ابن رشيق في المعدة — ما كأنه بدل يا كأنه — (٣) جاء في ديهوان

ابي نواس : البلاء عوض البلى . ولباد بدل لبادي —

لا ثقل بشرى ولكن بشرى وجه من أهوى ووجه المهرجان^(١)
فأمر باخراجه واستطار بافتتاحه وحرمه احسانه قال أبو الريان ولو كان هذا الشاعر
حاذقاً لكان اصلاح هذا الفساد ايسر الاشياء عليه وذلك بان يعكس البيت فيقول
وجه من أهوى ووجه المهرجان اي بشرى هي لا بل بشرى
قال ويقبح جداً الاتيان بكلمة القافية معجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وانما
هي مفردة لحشو القافية كقول بعضهم

فبلغت المنى برغم اعاديك وابتناك سالماً رب هود^(٢)
فأنت ترى غثائهم هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء نخص هوداً
عليه السلام وحده لضعف تقدمه وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن
قال ويقبح ايضاً الجفاء في التسيب على الحبيب والتضجر بعده . وغلظة العتاب
على صده . كقول ابي نواس

أجارة يبتئنا ابوك غيور وميسور ما يرجي لك عسير^(٣)
فان كنت لآخلاً ولأنت زوجة فلا برحت منا عليك مستور
وجاورت قوماً لا تراور بينهم ولا قرب الا ان يكون نشور
فلم اسمع باوحش من هذا التسيب . ولا أخ من هذا التشبيب . وذلك قوله ان لم تكوفي
لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا نشور للتراب عليك ولا كان جارك ما عشنا نحن
الا الموق الذين لا يتزاورون ولا يشواصلون الي يوم النشور على ان كلامه يشهد عليه
بانه شاك وانما المعروف في اهل الرقة والظرف . والمعهود من اهل الوفاء والعطف .

(١) ورد عجز البيت في كتاب الصناعاتين هكذا : غرة الداعي ووجه المهرجان
وقائل البيت ابو مقاتل انشده الداعي فاجعه الداعي ضرباً ثم قال — هلا قلت :
ان ثقل بشرى فعندي بشرى

(٢) قائل البيت ابو عدي القرشي ورواه قدامة (نقد الشعر ص ٨٩) :
ووقيت الخوف من وارث والي وابناك صالحاً رب هود

(٣) هذه الابيات من قصيدة فريدة مدح بها ابو نواس الخصيب بن عبد الحميد
العجمي ثم المرادي امير مصر . وقد يوجد بعض اختلافات في روايتها منها في البيت
الثاني : خيلاً وهو الصديق او صاحب بدل خلا . وروحة بدلس زوجة . ودوني
مروض منا — وفي البيت الثالث : وصل بدل قرب

ان يقدوا احباهم بالنفوس . من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته البصرية
وآدابه البغدادية . حتى اختار الغدر على الوفاء . وبلغت به طباعه الى اجفاء الجفاء .
فاعلم هذا واياك ان تعمل به

قال ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجناس . في شعر الناس . فمنها
سرقه الفاظ . ومنها سرقه معان . وسرقه المعاني اكثر لأنها اخفى من الالفاظ . ومنها
سرقه المعنى كله . ومنها سرقه البعض . ومنها سرق باختصار في اللفظ وزيادة في
المعنى وهو احسن المسروقات . ومنها سرق بزيادة الفاظ وقصور عن المعنى وهو اقبحها .
ومنها سرقه محضة بلا زيادة ولا نقص والفصل في ذلك للسرق منه ولا شيء للسارق
كسرقه ابي نواس في هذه القصيدة التي ذكرنا معنى ابي الشيبص بكلامه .
قال ابو الشيبص

وقف الهوى في حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم ^(١)

سرقه الحسن بكلامه فقال

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن بصير الجود حيث يصير ^(٢)

فهذا هذا على ان بيت ابي الشيبص احلى واطبع ومع حلاوته جزالة . وقد ذكر
عن الحسن انه قال ما زلت احسد ابا الشيبص على هذا البيت حتى اخذته منه وسرقه
المعاصر سقوط حمة . وبهذه القصيدة يناضل اصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصماءه
مقرين بان ليس له افضل منها . ولا لم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها . فقس
بفهمك واعمل فكرك على ما وصفناه من ابواب السرق ما وجدته في اشعار لم اذكرها
يظهر لك جميع ما وصفناه . ويبدو لك جميع ما رسمناه قال وما يقع في عيوب الشعر
ويغفل الشاعر عنه ويجوز له الامر فيه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ . لذي احتجبي
فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد ايضا عنه مثل قول المتنبي

كنى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام على انه انما شكك داءه ووصفه بالعظم فعاد شاكيا نفسه وجعلها
اعظم الداء لانه اراد كنى بدائك داء ففعل وقال كنى بك داء فصار كنى بالسلامة

(١) قصيدة ابي الشيبص التي طالعها هذا البيت تعد من ابلغ ما قيل في التشبيب

(٢) ورد عجز البيت في نسخة خطية من ديوان ابي نواس على هذه الصورة :

ولكن يسير المجد حيث يسير

داء فالسلامة هي الداء يريد طول البقاء سبب للفناء . وقال الله تعالى وكفى بناس مبين
فالله هو اعظم شهيد فجعل المتنبئ نفسه اعظم الداء ولم يرد الا استعظام دائه واصلاح
هذا الفساد . ويلوذه الى المراد . ان يقول

كفى بالنايا ان تكن امانيا وحسبك داء ان ترى الموت شافيا

فيعود الداء المستعظم كما اراد وتزول خشونة ابتدائه . وشدة جفائه . اذ خاطب المدح بالكَاف
فجعل داء عظيما في اول كلمة سمعها منه . وقد نادى بخواص الناس وكثير من عوامهم في مثال هذا
المكان فبه يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضا بما يخشون ذكره قلت للابعد ويا كذا وكذا للابعد
ومن عيوب هذا القسم ايضا ان قائله قصد الى سلطان جدد والى مكان يحتاج
فيه الى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك توه به أعني سيف الدولة وأغناه بعد فقره
وشرفه ورفع . وأدنى موضعه . فورد على كافور هذا في مرتبة شريفة . وخطة منيفة
فجعل يجعله يصفه في اول بيت لقيه به انه في حالة لا يرى منها المنية . او يرى المنية اعظم
أمنية . وعلم كافور بذلك انه ووصول أخبار الناس اليه انه في حالة خلاف ما قال وانه
كفر النعمة من المنعم عليه وأراه ان جميع ما عامله به من الجاه الواسع . والغنى القاطع
حقير لديه . صغير في عينيه . فعلم كافور في هذا الوقت انه ممن لا تزكو لديه الصنيعة
وان عظمت . ولا تكبر في عينيه المواهب وان جسمت . ولم يكن في خلق كافور من
الصبر على اتساع البذل . ولا من الرغبة في اهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة
من ذلك فزهده فيه بعد رغبة وعلله بالقليل . وشاوقه بالجزيل . ورأى المتنبئ ان الاسود ليس
له في قلبه من الحب والترب ماله عند سيف الدولة فلم يبدل عليه . ولا أكثر من التعتب والعتاب
ما يعطيه عليه فاضاع وضاع . وكان يتوقع الايقاع . واكثر ان التعم نعم . ثم نجاه ركوب ظهر
الحرب وأقبل يعترف للدولة بالذنوب . وكان لحذ . وشعره شريفي . وعقله ودبته
ضعيفين . ومع ذلك فسقطاته كثيرة الا ان محاسنه أكثر وأوفر . والمرو . يعجز لا المحالة .
وكان يميل الى تعتيد الكلام ويعتمد على علمه بقبحه فيقول من ذلك ما يصف به نافسه
فتبت تسد مسددا في نياها اسادها في المهمة الانقضاء

ويقول في المدح

أني يكون ابا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها واليت لا يتعلق بشي . مما قبله
فيما يظهر ولا فيما بعده بشي .

كانك ما جاودت من بان جوده عليك ولا قاومت من لم تقاوم
ومثل هذا كثير وهذه الاجتناس من آيات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء .
وأطاعت غوامضها بعد استعصاء . فهي مذمومة السلك وان اطلعت منها على اجزى الافادة
فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة . وكان ايضاً ينقل عن اصلاح اشياء من
كلامه على قرب ذلك الاصلاح من الفهم . مثل قوله يرثي أخت سيف الدولة
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن اشرف النسب
بجمل يا أخت خير وبنت خير كناية عن اشرف النسب والكناية لا تكون الا
لعل تتسع فيها التهم لان الكناية ستر وتعمية فما بال اشرف النسب يورى عنه تورية
المعائب . ويكتفى عنه والتصریح به من المغاخر والمناقب . وقد غفل عن اصلاح هذا
بلفظ فصيح . ومعنى صحيح . قد كاد يبرز من الجنان . الى طرف اللسان . وهو لو فطن اليه
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب غنى بهذا وذا عن اشرف النسب

قال ابو الريان وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء الجيدين من
التقصير والنفلة والغلط وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقبيتها
بجودة بحث وصحة قياس . لم تحتاج الى كشف عيوب اشعار الناس . ولعل قائل
يقول مال على هؤلاء . وترك سوام لميله على من بكت . ولتفضيله من عنه . سكت . فقل
لمن قال ذلك الامر على خلاف ما ظننت لم اذكر الا الافضل فالأفضل . والاشهر فالأشهر .
اذ كانت اشعارهم هي المروية . فالحجة بهم وعليهم هي القوية . فقد نقلته على من يبلي عليهم .
الى مبلي بالحق اليهم قال ابو الريان فاما نقد المستحسن فتمثيله لك يعظم ويتسع لكثرة فلا يدعنا
ايراده ولكن ما سلم من جميع ما اوردناه فهو في حيز السالم . ثم تتسع طبقات الجودة فيه .
واحسن منه ما اعتدل ميناه . واغرب معناه . وزاد في محمودات الشعر على سواء . ثم يمدح
الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة . ثم لا مدح ولا كرامة

قال محمد فقلت لله درك يا ابا الريان فما البين جانبك . وما أقرب غائبك . وما الحس
طالك . وما اسعد صاحبك . فقال انجح الله مطالبك . وقضى ما ريك . وصنى من
الغذى مشاربك . وبث في الحواضر والبوادي مناقبك

ثم المغامة المعروفة بمسائل الانتقاد

بلطف الفهم والاقتصاد

والحمد لله أولاً وآخراً وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

نفس المرأة

انصرفت افكار الباحثين الى درس طبائع المرأة ومميزاتها الجنسية وغللائها الخاصة على اثر ما كانت من نهوض المرأة لباراة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوقها بمذذات الى مشاركتها في الحقوق السياسية فتوفر على هذا البحث جماعة من العلماء الاعلام عنوانا بتجميعه وتجهيزه مما لقي به من خرافات الاقدمين واوهامهم جارين على اسلوب علمي لا يدع مجالاً للظن والشبهات المائعة بآراء الاقدمين والسادلة على الحقيقة شتاراً من الغلو ينهض بالمرأة الى مستوى الملائكة او يحطها الى دركات الجحيم ومن الغريب اننا لانجد باحثاً تعدى للموضوع الا زعم انه بين حقيقة المرأة وكشف عن اسرار نفسها على ان معظمهم جهلوا طبائعها الاصلية وعواصمها المميزة فجاءت ابحاثهم مزرقة فادسة المقدمات والنتائج ولم يفرق بعضهم بين صفاتها الخلقية وبين الصفات العارضة التي اكتسبتها في احوال خاصة

وربما اتفق علماء النفس ان رأوا المرأة في حال الضعف او الخوف او الاحتيال او الرياء فزعموا ان هذه الصفات من طبائعها الخلقية وانتقلت هذه المزايم الى الاخلاف في الاجيال المتوالية فهي لاتزال تستكشف او تعجب اليوم بطبائع في المرأة انت عليها سنة التشو والارتقاء فبدلتها او محبتها - ولقد مررت على المرأة عصور وهي بعيدة عن الحياة الفكرية والعملية تراءى على الطاعة العمياء لوليها فكانت اشد به بالاطفال غير ان الزمان تغير والمرأة تبدلت وبقي معظم علماء النفس واقفين عند الآراء القديمة يحسبونها رقيقة غاية حياتها خدمة الرجل

فما لت المرأة من اسرار الجود ومشاركت الرجل في الحياة العملية وتركت في زوايا القرون صفاتها القديمة وتخلقت باخلاق جديدة فلا تصح فيها آراء المغالين في اعتبارها ولا الفرقين في امتنانها

ولا بد للباحث ان يتساءل هل للمرأة صفات نفسية خاصة بها تميزها عن الرجل وما هي تلك الصفات الجنسية التي لا يؤثر فيها مركزها الاقتصادي والاجتماعي؟

يقول علماء الحياة باختلافات جوهرية بين الخليتين اللتين نشوء الحياة من انهماكها وان تميزها الحياة متفرجاً في الحياة المذكورة اما اللاتوجه فهي معلومة شديدة للاختلاف

بقوتها العضوية وهذه الصفات تبدو آثارها في الاحياء وكما ارنى الجنس البشرى كانت الخواص الجنسية اوضح اثرًا فتركيب المرأة وطبائعها تقبل بها الى السكون والدعة والراحة بينما نرى الرجل جلدًا على مشاق الحياة يجشم الاخطار ويخوض غمار الجهاد ويرى كل ما حوله يدفعه الى المتاجرة والاقدام

وإذا سلمنا بآراء علماء الحياة والنفس اتضح لنا سبب تخلق المرأة باخلافا الخاصة واشغالها في المجتمع مركزها الخاص فللرجل الحرب والجهاد والمغامرة والنشاط والحزم والمرأة اللطيف والصبر والمهدوء الا انها تشد في بعض الاحيان فتفوق الرجل حزمًا ومضاء وقد يوقد الرجل نار الثورة فتسعى في اخادها وتهتد روعه ويحملها ميلها الى السكون النفسي على الاعتصام بمجل الدين وهي اقل اقدامًا على الجرائم من الرجل لما تشغله من تضحية القوى الجسدية والعقلية ويزعم علماء النفس ان المرأة ضعيفة المدارك مما يجعلها على الاستسلام لمواظفها فهي غريبة عن الحرب والعلم والفنون وسرى فيما يلي فساد مزاعمهم في هذا الضدد

سار علماء النفس والحياة على اسلوب واحد في انجائهم فأت بهم الى نتائج متشابهة فقالوا ان المرأة اليوم هي ذات المرأة في القرون السالفة وبتبين لك خطا آرائهم من عرضها على احوال الحياة الحقيقية واذا تابعنا ارتقاء العالم الحيواني وضعت لنا المناقضة بين آراء الباحثين في المرأة وبين حالتها الحاضرة على اتم اشكلها

المرأة المحاربة — نتقدم الى البحث في إحدى صفات المرأة التي قالوا بها من الجبن وصغر النفس ونأخذ هذه الصفة اساسًا لمبحثنا فقد اجمعت آراؤهم على ان المرأة لا تصلح للقتال والتمرد عن الوطن فلما ارتفع صوت النساء المطالبات بالحقوق دافعها المنكرون عليها بقولهم انها لا تستطيع مشاركة الرجل في الحرب والذب عن حياض الوطن على اننا اذا تعمنا النظر وجدنا هذه الصفة غارضة لا جوهرية وليست هي من صفاتها الخلقية التي لا تتغير فتساءل الحبش يقانلن مع ازواجهن جنبًا الى جنب راكبات على الجبال او الخيل ومتهذبات سلاح الرجال ولا ينقص عنهم شجاعة واقدامًا وصبرًا على المشقات ويقول الرجالون ان النساء يتدربن على فنون القتال فينشأن شديداً القوى وقد اكتبتهن ممارسة الحروب بطشًا لا ينصف به سوى شجوان المتنازلة

ويقول تاسيت ان جيوش البريتونيين القدماء كانت تزحف الى القتال والنساء في طليعتها ويقول مومسن بمثل ذلك عند الابرعيين فقد كانت نساؤهم يفتتن

الحصون ويقتلن زرافات في المحجوم

وأكد جماعة من السباح ان النساء الامازونيات القاطنات على ضفاف نهر الامازون يشاركن الرجال في القتال ويقتلن بلغم البشر ويقهر آخرون مثل ذلك عن نساء الموريكيس والكواي موراس

وذكر ارفن ان نساء الانتيل يقرسن بالفنون الحربية حتى يضارعن الرجال ولقد قامى كولبوس الامرين من باس نساء الامازون الهنديات وفي اميركا الجنوبية يتنافلون اخباراً كثيرة عن وجود النساء المحاربات

وشاهد الرحالة ستانلي مقاتلة النساء في بلاط متزا ملك الاوغندا فعنده نساء من الامازون يتقلدن الحراب الطويلة وتزحف نساء الغراتوتو الافريقيات مع الرجال في الحرب

وفي الداومي جيش من الامازونيات مؤلف من صنفين احدهما الصنف العامل وعدده ثلاثة آلاف والاخر المستحفظ يدعى في ابان الحاجة ويخضعن لنظامات حربية شديدة ويتعردن احتمال الجوع والعطش وغيرها من المشاق ويجبرن على مقاساة الآلام صابرات ويتميزن بالسجاعة والبأس فاذا ايسر اليهن الملك اتقمن الاخطار وخضن الغمرات وقد شاهد احد رؤساء المبشرين سنة ١٨٦١ مشهداً ملاً دهشة وانجذاباً فقد امر الملك النساء الامازونيات ان يتقمن حواجز علوها متران وعرضها ستة امتار وكانت الحواجز من النباتات الشائكة يؤلم لسمها فتشمت سوق المقاتلات العارية غير انهن ثبتن ابي ثبات فتقدمت الفرقة الاولى ومازالت تجهيد حتى اعيث فوقفن منهوكات بانسات ولكن الملك صاح بهن ونظر اليهن نظرة دفعت فيهن نياراً كبيراً لئلا يعاودن المحجوم رسالة نادرة حتى ظفرون بما اردن

وعند هياج البولونيين سنة ١٨٦٣ تزيت نساؤهم يزي الرجال واهلن في المعارك بلا حسناً فاصبحت شجاعتهن مضرب المثل وسارت باحاديهن الركبان وتقرود منهن الانسة يرستاقون بالأس والجلد حتى اصبح لها مجد حربي لا يقل عن مجد اعظم الرجال ان صيد الحيوانات الكلدرة ليس اقل خطراً من خوض الممارك ونساء التار الصينيات يصحن ازواجهن في صيدها ونساء الروس والبولونيين يشاركن بعولتهن في صيد الدببة والذئاب والحمازير البرية غير عابثات بما في ذلك من المهالك

ولا يسع الباحثين بعد ذلك الا ان يسلوا معنا باستطاعة النساء القتال ولا سيما في

الحروب الخاضرة وقد اصبح معظم الاعتماد فيها على الحذر والتيقظ والحكمة فني وسع المرأة ان تشارك الرجل في الدفاع الوطني ولا تغل عنه جلدًا وافدامًا لولا ان ذلك يعوتها عن واجباتها المنزلية وانجاز وظيفة الام

قابلية الانفعال في الجفنين . — كتبت الوفا من المجلدات في بسيكولوجية المرأة تراوحت بين الاغراق في تعظيم « الشبيبة الابدية » وامتهان « عدوة الرجل القديمة » ولم ينشبه مؤلفوها انهم رسموا خطوطًا لصورة المرأة في عصر او عصور سائلة واغفلوا وصف امرأة اليوم والغد فرماها بعضهم بكل شائنة وقال الآخر انها دقي احساسًا وارق شعورًا من الرجل ومن ذهب هذا المذهب الفيلسوف اوغست كوت فقال « توثر الموارث الطبيعية في المرأة بسهولة وشدة » وقد يرهن على ذلك علما نغفر من الكتاب وترى انفعالها واضحا في جميع الصروف فانها تنطب جبينها وتغضب وتحتقر ويؤلمها الاضطراب وتنفذ لعواطفها فهي في ذلك اقرب الى الطفل منها الى الرجل وسرعة التأثر في المرأة تجعلها طورًا ارق وطورًا اقسى من الرجل ثم ان الفواعل يزول اثرها من نفسه لانه عرضة لاختلافاتها فالخزن يعقب السرور والبشر ينلوا الامسى كما تنو الى السحب في السماء ولكن طبيعة المرأة الساكنة اذا لامتها الفواعل تركت فيها اثرا يصعب زواله فتري عواطف الحب والبغض والرحمة والقسوة ارسخ في المرأة مما هي في الرجل

على اننا نرى الرجل في بعض اطواره لا يقل عن المرأة في الاستسلام للعواطف ويرجع ذلك الى احوال البيئة والاخلاق الشخصية لا الجنسية

الحب ريجان حياة الرجل غيراته حياة المرأة ذاتها ولكن لا تفعل العواطف سيف الرجل فعلها في المرأة ؟ قال لا كوردير في كتاب بحث به الى احدى صديقاته « يتخطى من يقول ان الرجل يعيش بالعقل والمرأة بالعواطف فالرجال يحبون ايضا بالعواطف الا انها راقية تنزل لديكن منزلة العقل »

وبعض علماء النفس ينكرون على المرأة هذه المزية ويعززون اليها نقصا ينشأ في شواعرها كافة وبصفونها بتطرف يسير بها الى قمة المجد او يهبط بها الى دركات الدمار فهي مفرطة في الحالين والانانية والغيرة على اشد هما عند المرأة لان فطرتها الثائرة ترمي بها الى الغابتين المتناقضتين

وخالف هؤلاء نفر ادعوا انها ولعة بالاعتدال محمولة عليه بما لها من سكون الطبع فهي ثابتة في اعمالها وافكارها تنقاوم الفواعل التي ربما اخرجتها عن بيتها انفسها الا ولون

ينكرون عليها حق الحكم لأنها تطاوع في ذلك عواطفها وحماستها الخرفاء.
ويوافقهم الآخرون على هذا الرأي مستندين في ذلك على مقدمات أخرى فهم يقولون
ان اخلاص المرأة للسكون يبطل كل ارتقاء اجتماعي

تلك هي آراؤهم المختلفة باختلاف وجهة النظر تدبئك ان هذه الخواص ليست جنسية
وانما هي شخصية واذا عاش الرجل في بيئة تشبه بيئة المرأة لا يلبث ان يتخلق بهذه
الاخلاق لان قابلية التأثر لا حد لها وهذه الصفات انما هي نتيجة احوال المحيط

ذكر هيرت سينسر ان المرأة تفوق الرجل قوة في البلاد التي يمثل اهلها بالامسرى
وقبيلة الداكوتاس تدفع الشيخ الى النساء يتلذذن بتعذيبه ويقول ما كسب دمي كامب
ان النساء اثناء ثورة الكومون فقن الرجال فظاعة وشراسة

ومع عاطفة القسوة يتلأأ الخائن الانثوي فقد عطفت نساء البرابرة على الرحالين
واظهروا لهم ضروب اللطف والرفقة واتفق على ذلك مشاهير الجوابين كستانلي ولفنستون
وغيرهما

والباحث المنصف يجد للنساء مواقف مشهودة في الاخطار وعوارف محمودة في تسكين
ثورة الرجل فدخل بعضهن في صفوف الثوار لا ينسینا بنات جنهن ممن بعثن السكينة
سيف النفوس تحفظ لمن التاريخ صفحات مجيدة

المرأة والديانة — رقة شعور المرأة جعلتها متدبنة في جميع العصور والشعوب وهي
امسرع تلبية لدعاة المذاهب فيجد هو لا بين النساء مؤنسات مخلصات كان لمن في ثبات
الديانات ونشرها تأثير شديد

خضوع المرأة — تقدم لسلطة الرجل سهل عليها الاعتقاد بعناية إلهية غامضة فهي لا
تزال تقارع انواع المشاق في التماس مصدر الرحمة الازلي وينبوع السلام الابدی
وادى بها ذلك الى الاعتقاد بتفوق كل من يسودها وكيف لا تعقد باله اهل وهي
تنوقع منه المكافأة على ما تجشمه من المصائب في هذا العالم فهي مسوقة الى التدين
لا عن ميل فقط بل عن حاجة وتربيتها الاتكالية زادتها اعتصاماً بالايمان لانه
يقول باله قادر يحبها ويرعاها

وهي لا تشعر بخوف الله فقط بل تشغف بحبه وتبتل اليه في التوازل الشداد
فيعترق الفطائل المطيقة بها نور رجاء ينضربه عيشها وكما قلت مطالبيها في نحياسة زادت
استمساكاً بهل الدين وكثيراً ما تنشأها اضطرابات دينية نذهل صوابها

ولا يجوز لنا الاغضاء عن ان الرجل هو الذي اوجد في المرأة تلك الفطرة ودعا الى الدين فأجابته مذعنة شأنها في الخضوع لما تعتقد به العقلية والتفوق فهي تتلف من افواه الاحبار مبادئ الدين وتستعذب سلطته لانه يمنحها غبطة دائمة ويمشي آمالها بجنان مستبلة تحو جميع آلامها الحاضرة فلم يخطر لها قط ان ترغب عن ذلك الجمال الغنان والأمل المتلائي

وعلى انان نفرق بين الديانة والتدين فشعور الرجل بالدين يختلف عن شعور المرأة بذلك الدين وبين التقي والثقية والاخ والاخت اتباع المذهب الواحد اختلاف جنسي في الايمان وتلازم المعجز المعبود واجدات في الصلاة غبطة ونعياً ومن في ذلك اقرب الى الرجال الطاعنين في السن منهم الى اخوانهم في ريعان الصبا وكما تعمق الهاشون في درس هذه العاطفة عند المرأة وجدوها متباعدة عن المركز الذي تشغله في المجتمع الحاضر فهي اقوى استمساكاً بمجل الدين واشد خضوعاً للعقائد والافكار. صفات المرأة افادتها اباحا حالتها الاجتماعية والادبية وتلك العاطفة الدينية ليست سوى نتيجة اعمال الرجل في الوفاء من السنين

هل المرأة ارق شعوراً من الرجل ؟ — منذ خمسين سنة قام جدال بين علماء النفس على انحطاط احساس المرأة فذهب لومبروزو وتلامذته الى ضعف شعورها وخالفه في رأيه مانتكينزا ومن تابعه ويطوي في هذين المبدأين العامين نظريات ثانوية لا تكاد تحصى وانما نشأ تناقضهم عن اقتصار الباحثين على بعض الموضوعات المحدودة واوسع مجال الاختلاف ان التجارب انجزت في ممالك مختلفة وما لا ريب فيه ان البيئة وطرز المعيشة تأثيراً في الشعور فالبرابرة اقل شعوراً بالالم من المتحضرين وهو لا متفاوتون ايضاً في شعورهم فان ابناء الطبقات العالية المترفين ممن القوا الرفاهية واناقة العيش بشعرون بالالم فوق شعور المزارعين ومتى علمنا ذلك لم يسعنا ان نغزو التفارث في الشعور الى الجنسية بل الى احوال الحياة التي تفرق بين الجنسين

فلما ان بين العلماء اختلافاً كبيراً على ارتقاء حواس المرأة وانحطاطها وقد استشهد القائلون بانحطاطها على زعمهم بانها لا تستطيع التمييز بين انواع الخمور المختلفة وذلك بشير الى ضعف حاسة الذوق ويقولون مثل هذا في سائر حواسها فيفند المعارضون حججهم قائلين انما اعجز المرأة التمييز بين صنوف الخمر لانها لا تدمنها كالرجال والمدمشات منهن يضارعن في ذلك ارق الرجال

أما شدة احساسها بالآلم فيفسر كثرة الآلام التي تشبهاها ويقول ما تشكيزا ان شعورها به اضعاف شعور الرجل ويذهب مرجا الى ما يناقض ذلك فيقول ان المرأة سريعة الانفعال كالطفل فتذري العبرات عند اقل طاري وتبدو على مجيهاها علام الآلم غير ان مظاهر الآلم ليست هي ذاته وللتربية ونسق الحياة شأن خطير في الشعور فان النساء الكثيرات الامتزاج بالرجال اللواتي يمارسن حياة العمل يصبح دمعهن عصياً فيجلدن على احتمال المصائب والايوجاع ويتصلبن على لقاء الخطوب ويقول لومبروزو ان ضعف حواس المرأة نعمة كبرى على المجتمع إذ يسهل عليهن تحمل آلام الحمل والوضع

سبب الانفعال . — نعود في ذلك الى آراء الفيسيولوجيين فقد برهنوا ان لتساق معيشة المرأة اثرآ في جسمها ونفسها لان حياتها المنزلية واقتصادها على انجاز الواجبات العائلية قلل من مناعة جسمها وخفض من مضائها ونشاطها وقال بان « نتمو العواطف الرقيقة حيث يضعف النشاط » على ان سرعة الانفعال لا تعود الى تركيبها العضلي بل تعزى الى فقر الدم الناشئ عن قلة التمرين فالنساء العاملات اقل تعرضاً للانفعالات التي نؤكد عيش غيرهن من النساء وقد قال احد الباحثين ان امرأة العصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن امرأة اليوم

ولا ريب في ان دخول النساء في الحياة العامة واساليب تهذيبهن التي تبدلت كان لها اشد اثر على حياتهن المعنوية فكما تحككت المرأة بالرجل فقدت صفاتها الانثوية فهل يأتي يوم تضمحل فيه خواصها المميزة ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال استبحار العمران واتقاسار التمدن يختلفان من الم المرأة الناتج عن الامومة فهل يرجي ان يقويا على هاتيك الاوجاع حتى بلاشياها ؟ والذي نراه ان الامومة كانت وسيكون لها الى الابد شأن

الحب والجمال المعنوي . — ان ما تخسره المرأة مادياً ترجحه معنوياً وهذه الامومة تكبدها آلام لا تطاق الا انها تحبونها ارقى الصفات التي يمتاز بها الجنس البشري وهي الحب والخنان فالمرأة في سهرها الدائم على طفلها وهنايتها به يرتقي شعورها بالحبوة والعطف

في حب الامهات تسطع اسمى عاطفة في الوجود ويزدهر رجالة لاحد له لقر به عين الانسانية ويفجر ينبوع هذا الحب في كل مكان فيرم على كياننا آثاراً لا تمحى . ولا

يضمحل حب المرأة الا بانقراض آخر رجل فارتباطها بوجودنا يجعلها على حفظ العهود وصيانة المواثيق ويحق للمرأة ان تغامر بوظيفتها الاجتماعية فان الامة هي مصدر الفضائل والمحبة الغيرية التي يحيا بها المجتمع الانساني. وهذا الحب الشديد الذي يفصل بينها وبين الرجل ليس الا ليوأها في الحياة الاجتماعية مكانة اسمى من مكانته إذا أعيا تكافل الجفنين دون مساواتها في العظمة واشتراكها في مقاساة الآلام

كذب المرأة — نتمو على شجرة حياة المرأة في احوالها المختلفة فروع تخيل للراقي انها المميزات الفارقة بين الجفنين وكثيراً ما يمر بها المفكرون غير محفلين بالاسباب الطارئة التي جعلت بعضها نصيراً زاهراً يشتهوي العيون مرآة والآخر ذوايا جافاً ينبوعه البصر على اننا اذا بدلنا بيئة الشجرة ثلاثت الفروع القابلة ولو احاطت بالمرأة صروف الرجل لكان لها فضائله ورذائله

وما وجدنا اعجز من رأي من يأخذ على المرأة اعتلاقها باسباب الرياء وهي سلاح الضعفاء في النزاع الحيوي ولا بد لنا من كلام يزيد القضية وضوحاً ونحن نرى علماء النفس على اتفاق في هذا الحكم الذي يشمل المجتمعات الانسانية من ارقاعها الى ادناها فاذا قصي على الضعيف ان يتنازع القوي مال الى المراوغة والكذب وذلك شأن المرأة فكما تخرج موقفها لجأت الى الافك والبهتان ذوداً عن نفسها ويقول صبنسر « ان الكذب يرافق كل حالة اجتماعية قائمة على دعائي القوة والخوف قوة السائدين وخوف المسودين قوة واقتداراً » غير ان الفلاسفة والمتشرعين وعلماء النفس والشعراء والقصصيين اغضوا عن مصدر الشر وجعلوا الكذب صفة غريزية في المرأة ومشى على هذا المذهب الشارعون فحرموا المرأة حتى الشهادة زاعمين انها اقل صدقاً من الرجل فادى ذلك الى استطرادها في هذا السبيل وما كان ذلك الا ليزيد تعاسة الرجل فشقاؤه ورياءها متلازمان والآلام التي يكبدها اياها نفس نظام حياته العائلية فالمرأة عنصر ينحل في حياة الرجل وفي وسه ان يظهر ذلك العنصر او يفسد

نفت في روعها انها لم تخلق الا لارضائه فتوسلت الى هذه الغاية بوسائل مهلكة واضطرت ان تصنع لتستر الطوارعي التي تلم بها فتذهب بروعة جمالها ومالت الى اغواءه بهرجتها فتزيت وتبرجت وتخبرت جملاً عذبة تسردها عن غير شعور وزاغ بها هذا التصنع عن طبيعتها واكسبها صفات مستنكرة حتى سهل عليها بتوالي الازمان سكتم هواطفتها والنظاير بما لا تحس به فاصبحت تصرخ اذا مستها شوكة ولثالك اذا

استغرق الألم وجودها والتفت من الرجل ان يحميها لانها رأتها يميل الى المرأة الضعيفة ثم ضعفت فيها ملكة التقدر والتبيز باعمال تثقيفها فاصبحت تنظر الى المحسوسات نظراً مزوراً وتفسرها على غير حقيقتها ولم يشعر الرجل الا والمرأة قد تبدلت فبات ينصكر الصفات التي افادها بالهاو ازال الافك بعث كل العث في المجتمع حتى اصبح دعامة الحياة العامة كذب الرجل . — لا ننكر ان المرأة اشد رياء من الرجل غير انه ليس بفاقده هذه الصفة وانما الفرق في الكمية لا في الكيفية وقد تكذب المرأة وتداهج أفلا تجرم مداجناتها على الهيئة الاجتماعية ما يجرم بهتان الرجل من الويلات فما يستم وجودنا من الشواعر الكاذبة ويباعد بيننا وبين الغبطة بظهر لا بين الافراد فقط بل بين الاجناس والشعوب وما السلم المصلح سوى اكدوبة هائلة نفذت الى جميع الفجائر فن التهديب العام والخاص وعلاقات الطبقات الاجتماعية ومبادئ الحكومات والعدل وتحديد حقوق الوطنيين وواجباتهم فتولد تلك الآفة الهائلة ففسدت البيئة التي نعيش فيها وهذه العواطف غدت وسيلة الخداع والوطنية مدرجة المنافع الذاتية والتزوير عنصراً جوهرياً للحياة فالسلطة الفردية تستعين بالقول — ان حق الملك من حق الله والديمقراطيون ينادون بوجوب المساواة وكلا الفريقين نازع الى القبض على السلطة ولم يكتف مدعو الزعامة بادخال السم في الحياة العامة حتى جاعروا بذلك غير نجلين وقد اقترت الانسانية على الهذيان والادبيات فبينما ترى التعاليم الدينية تقضي علينا بحجة القريب نجد المندسين يتنازعون ويتقارعون والشعوب تنطاحن في مضمار الجهاد

والصنائع من ارقاها الى ادناها مدعومة بالافك والتزوير وهو لاء السياسيون يأتون ضروب الغش والرياء ويرتقون المناصب على سلم من المزايعيد التي يستحيل تحقيقها وكما قام مصلح لمناخضة البهتان رموه بضعف الوطنية وكل ذلك من عمل الرجل وحسبنا بما تقدم دليلاً على مبلغ الرجل من الافك مما حمل المرأة سببه دورها على اقتفاء آثاره مسوقة بضعفها الطبيعي وعجز منتها فاقصرت على الاكاذيب البسيطة وافرط رفيقها في البهتان

يستحب الرجل في شريكة حياته الرقة والخضوع شأن كل كائن قوي فيزيناها في عيونه وداعة الرفاء ويحبها اليها القوة والرجولية ومهما بلغ من اخلاقه فالمرأة مدعوة الى مجاراته على اهوائه احتفاظاً بحجته وصيانة للنوع الانساني فلم يكفها في ذلك جمالها وورقتها بل سمعت الى استرضائه فغالبت فطرتها وتوسلاً الى بلوغ هذه الغاية وما وقفت عند حد

التبرج والدل بل اتخذت مظهراً معنوياً ملائماً لميوله فتأصل حب الاسترخاء في نفسها حتى غدا لها طبيعة ثانية واثرت فيها الوراثة والانتخاب الطبيعي حتى حبت ارضاء الرجل الغاية الكبرى من حياتها وارتاح الرجل الى تلك المظاهر مأخوذاً بما فيها من الروائع الخلابة فاهته رياه الزهر عما فيه من السم الزعاف واستنفدت المرأة مجهودها في استمالة ولو شوهت تكوينها المعنوي فاصبحت كثيرة الجمالة قديرة على كتمان عواطفها انظارها بالابتسام والعاصفة ثور في داخلها لتلقي على نفسها ستاراً وخادعت شريكها بقولها وحر كاتها وابساماتها فيهرن ذلك على انها لم تخسر طبيعتها الانسانية في عصور العبودية والرق فهي تأفك لتحفظ مزيتها الانسانية مما يدل على ثباتها وصلابتها ومقاومتها لماساسها الرجل من الحيف والضغط

تعاقبت القرون وتأثير الاحوال الخاصة يعمل في نفس المرأة حتى جعل لها سمة خاصة فطوت في ارضاء الرجل جميع غايات حياتها الدنيوية غير عابثة بما يسودها من ضعف فضيلتها ولكن مرونة النفس البشرية لا نهاية لها وفيها استعداد تام للرق المعنوي فلما زالت العسروف التي تبدل من وجدانها تشطت للحرية واستعادت ما فقدته من المواهب وخرجت الشعوب المظلمة لتضارع ارقى الشعوب مدنية وبكفي لحور تأثير عشرين قرناً عقبان او ثلاثة اعقاب فهذه قبائل الماوريس كانت منذ قرن واحد ساردة في ظلمات الجهل فما فتح لها باب المدنية حتى ضربت فيها اسم، وافر ونساؤها اليوم لسن دون النساء الانكليزيات وزنوج الولايات المتحدة عدوا منذ مائة عام بين احط الشعوب الافريقية وقد بلغوا اليوم شأواً بعيداً في الحضارة وشغلوا مركزاً رفيعاً في عالمي الاقتصاد والاجتماع

وكان يحق لنا اليأس من المستقبل لو ان الانسان استغرق في سبيل الاسلاف وازاف الى النقايس الموروثة ما انتجه العصور بتواليها غير ان النفس مرنة ومرورها تئمش الرجاء بالمستقبل والمرأة في ذلك على مستوى الرجل فتبدل تهذيبها ومركزها الاجتماعي تستعيد الصديق احدى صفات السادة وتهجر الرياء وهو تركمة عصور العبودية وعلى هذا المتوال يتغير مجموع الصفات الانثوية لان نفوسنا تكيف على ما بلائهم شروط البيئة فلم يخاف الرجل ولا المرأة كاذبين او صادقين فاذا مازج البهتان حياتنا لم يكن الاعقبى الصلات التي ربطت الجنسين

بعض المميزات - انتهت في المرأة خاصتنا الفهم والملاحظة لتستكشف مقاصد

الرجل وتعمل على بلوغها فاكسيت من يثبتها فضائل خاصة كما استفاضت نقائص خاصة واصبحت قادرة على التخلص من المآرق والنظر في اعماق نفس الرجل لمعرفة مظان الضعف فيها فعرفت كيف تلتطف بكلماتها العذبة الآمنة وتهمج اشواقنا واصبحت مداهنتها اوضح اثرأ واشد فعلاً واستطاعت شتص شخصيتها ان تمتزج بشخصية الرجل اذ لا يمننا من الاتقياد الى الغير سوى وثوقنا بالقوة واعتمادنا على الذات اما المرأة ففقدت هاتين الخاصتين واستغرقت في حياة الرجل واصبحت العنصر الجوهرى لسعادتنا وشقاؤنا ثم ان نفسها الساكنة جعلتها يسر انفعالا خفيا وبفضها واعجابها فوق ما يشعر به الرجل على ان الايام لا بد ان تخف من هذه العواطف

مالت المرأة الى الهم ذلك الشعور المهم العقيم ووجدت من تهذيبها ما ينزع بها هذا المتزع فولت بقراءة الروايات وشغلت جل افكارها في الحب لانها تحيا لتحب وعكفت على مطالعة الاقاصيص الغرامية فاصبحت لها كالحب مصدر عواطف لا ينضب غير ان انصرافها الى القصص اضعف فيها ملكة الذكاء

التصورات الخبيثة . - مالت الرجل في دوره الى الغرام وما وجد اجمل من حديثه وقعا في نفس المرأة فصبح للحكايات الخيالية الشأن الاكبر في حياتنا وهي غير جديدة بالنظر وغدا القصصيون من رجال ونساء قادة الانسانية يضعون دعائم مستقبلها واشتغل الناس بالاوهام والاحلام عن الحقائق الثابتة ولعل مؤرخا ينشأ في القرن الثلاثين ينظر الى ولوعنا بالخيال هازئا بما نندعيه من الرقي العقلي وربما اوقفنا في مستوى المصريين القدماء الذين عبدوا الكواكن المنحطة فلا يبعد عن الحقيقة وما نحن ذا نرى المرأة مشغوفة بالروايات مستميلة اليها الرجل وقد استغرق الحب وجودهما وقربا على مذهبه اعظم الضحايا

حياة المرأة الضيقة الحدود القليلة الواجبات جعلتها تنألم لاذن مظاهر الحياة ومضى رأينا شدة حب المرأة وكرها حكمة ان العاطفتين اقوى فيهما هما في الرجل والشجرة المنفردة في عرض البرتحيل للرأى انها اكبر مما هي

اثبت الباحثون ان وجوه الشبه بين نفس المرأة والطفل اوفر مما هي بين نفسي المرأة والطفل وقد يفوق الرجل في بعض المزايا وينحط عنه في غيرها شأن المرأة فركزها التاريخي عند جميع الشعوب اكسبها بعض الصفات الفاضلة واقتدها اكثر منها اطاعت الرجل واصبحت مصدر افراحه ومسراته فلم تقو على مضارعة في الفكر والتفكير

خواص تقربها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تسقط في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك اللقب ولقد يكون الطفل في حالة نموه احد ذهنًا وافر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم النسب وهو على الاطلاق اظهر منه قلبًا واقل اهتمامًا.

الارتقاء العقلي لا يجري على خط مستقيم فينض بنا طوراً الى اعلى الذرى ومحطنا تارة الى اعماق المهاوي وهذه المميزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأةزاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يعزينا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة العضوية فيعجزها فقدانها من استعادة مركزها واقل تقدير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضاعها.

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر ينش في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر . اهـ عرباً بتصرف من مقالة لجان فينو في المجلة الباريزية دمشق : جرجي الحداد



ابن زيدون^(١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون الخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ - ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطف بها لما كان في اعتقاله (٢) يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن ابتاه الله

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و ٤٨٦ و ٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في اسلوبها ضمنهما كثيراً من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداها الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يسخر به فيها وجعلها عن لسان ولادة بنت المستكفي الالهية الاندلسية المشهورة وقد شرحها جمال الدين بن

ماضي حد العزم واري زند الامل ثابت عهد النعمة .

اذا سلّمتني اهزلك الله لباس انعامك وعطّلني من حلى ابتاسك واضأّنتني الى برود
اسعافك ونفضت بي كف حياطك وغضضت عني مآرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى
الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك واحس الجمد باستنادي اليك فلا غرو فقد
يغص الماء شارب به ويقتل الدواء المستثنى به ويؤثّق الحذر من مأمنه وتكون منية التمني
في امتيته « والحين قد يسبق جهد الحريص »

كل المصائب قد تمر على الفقى وتهون غير شامة الحساد

وافي لا تجلد واري الشامتين « اني لرب الدهر لا انضعع »

فاقول : هل انا الايد ادماما سوارها وجبين عض به اكليله ومشرقي الصقه بالارض
صاقله وممهرى عرضه على النار منقفه وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول
فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس احيانا على من يرحم
هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تلهي وهذه النكبة « مهابة صيف عن
قابل تقشع »

ولن يربيني من سيدي ان ابطأ سحابه او تأخر غير ضنين غناؤه فابطأ الدلاء فيضاً
املاً وها واثقل السحاب شيئاً احفلها وانفع الحيا ما صادف جدبا والذ الشراب ما
اصاب غليلا ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب . له الحمد على اعتباله ولا عتب عليه
في اغفاله

وان يكن الفعل الذي ساء واحدا فافعله اللاتي سررت الوف

واعود فاقول : ما هذا القنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه
حلمك والتناول الذي لم يستغرقه تطولك والتعامل الذي لم ينف به احناك .

نبأته المصري الكاتب الشاهر المعروف (٦٨٦ — ٧٦٨) شرحا سماه شرح العيون في
شرح رسالة ابن زيدون وهو مطبوع في مصر

والرسالة الثانية كتبها الى ابي الوليد بن جهور (وهي المنشورة في هذا الجزء)
وشرحها الاديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤) شرحاً سماه تمام
المتون في شرح رسالة ابن زيدون وقد وقفنا على نسخة مخطوطة من هذا الشرح (ومنه
جرّدنا هذه الرسالة) في خزانة صديقنا السيد عبد الباقي الحسني الجزائري والكتاب
يقع في نحو مائتي ورقة كتب عام ١٢٥٦

لا اخار من ان اكون بريئاً فاين عدلك او مسيئاً فاين فضلك

الا يكن ذنب فعذلك واسم او كان لي ذنب فضلك اوسع

حنائك قد بلغ السيل الزبي ونائي ما حسبي به وكفى وما راقي الا لو امرت بالاجود
لا آدم فايئت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت ساوي الى جبل بعصمي من
الماء وامرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى وعكفت على العجل واعتدبت سيف
السبت وتماطيت فعمرت وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت وقدت الفيل
لأبرهة وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت سيف بيعة العقبة ونفرت الى العير
بيدر وانخذلت بشك الناس يوم احد وتخلت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت
بالافك على عائشة الصديقة وأنفت من اماره أسامة وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت
فلكة ورويت رعي من كتيبة خالد ومزقت الادبم الذي باركت بد الله عليه وضجيت
بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسمم

وكتبت الى عمرو بن سعدان جميع بالحسين وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة

لبت اشياخي بيدر علموا جزع الخرج من وقع الاسل

ورجعت الكعبة وعلبت العائذ على الثانية لكان فيما جرى علي ما يحتمل ان يكون

نكالا ويدعى ولو على المجاز عقابا

وحسبك من حادث بامرري ترسى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنب الا نعمة اهداها كاشح ونبا جاء به فاسق وهم المازون المشاؤون

بنعيم والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون ادبنا صحبنا

والساعة الذين ذكرهم الاخنف بن قيس فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم :

حلفت فلم اترك انفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غشتك بعد النصيحة ولا انخرفت عنك بعد الصاغية ولا نصبت لك بعد

التشيع فيك ولا ازمعت بأسم منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك وعهد اخذه حسن

الظن بك فقيم عيب الجفاء بأزمتي وعاث العقوق سيفه موافقي وتمكن الضياع من وصائلي

ولم ضاقت مذاهبي واكدت مطالبي وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من التنيمة

بالاياب واني غلبني المغلب ونفرت علي العاجز الضعيف ولطمعتني غير ذات سوار ومالك لم

تنعم مني قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تنضرم جوانح الا كغاة

حسدًا لي على الخصوص بك وتقطع انفاس الظراء منافسة سيف الكرامة عليك وقد
زانتني امم خدمتك وزهاني وسم نعمتك وابليت البلاء الجليل في سماءك وقت المقام
المحمود في بساطك

الست الموالي فيك غير قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل انجما
ثناه يخال الروض منه منوراً ضعى ويخال الوشي فيه منمنا
وهل لبس الصباح الا بردا طرزته بفصائلك ولقدت الجوزاء الا عقداً فصلك بما أترك
واستلمى الربيع الا ثناء ملائته من محاسنك وبث المسك الاحديثاً اذعته في محاسنك
ما يوم حليمة بسر وان كنت لم اكسك سلبياً ولا حليتك عطلاً ولا وسمتك غفلاً بل
وجدت أجراً وحصى فبئت ومكان القول ذامعة فقلت وحاشاك ان أعد من العاملة
الناحية واكون كالدبالة المنصوبة « تعي للناس وهي تحترق » فلك المثل الاعلى وهو
في وبك اولى ولعمرك ما جهلت ان صريح الرأي ان تحول اذ بلغني الشمس ونبا في
المنزل واصفح عن المقامع التي تقطع اعتناق الرجال فلا استوطي العجز ولا اطمئن الى الغرور
ومن الامثال المصروبه خامري ام عامر واقي مع العرة بان الجلاء سباً والنقلة مثله

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسجياً
وتدفن منه الصالحات وان يسيه يكن ما اساء النار في رأس كبكبا
عارف بان الادب الوطن لا يخشى فراقه والخليط لا يتوقع زياله والتسبب لا ينجي
والجمال لا ينجي ثم ما قران السعد للكواكب ابهى اثرآ ولا اسنى خطراً من اقتران غنى
النفس به وانظماهما نسقا معه فان الحائز لما الفسارب بهم فيها « وقليل مام » ابنا
توجه ورد منهل بر وحتط في جناب قبول وضوحك قبل انزال رحله وأعطى حكم الصبي
على اهله

وقيل له اهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مييت صالح ومتيل
غير ان الوطن محبوب والمثلاً مألوف والذيب يحن الى وطنه حنين النجيب الى عطته
والكرم لا يخفق ارضاً فيها قوابله ولا ينسى بلداً فيها مراضعه قال الاول
احب بلاد الله ما بين منعج الهة وسلي ان بصوب سمحها
بلادها حق الشباب ثماني واول ارض مس جلدي تراها
هذا الى مغالاتي بمقد جوارك ومنافستي بلحظة من قربك واعتقادي ان الطمع في
غيرك طبع والنبي من - والله عنا والبذل منك اعور والمعوض لنا

وإذا نظرت الى اميري زادني ضنا به نظري الى الامراء
كل الصيد في جوف الغراء وفي كل شجر نار واستجد المرخ والعقار فما هذه البراءة
من يتولاك والميل عن لا ميل عنك وعلا كان هواك فيمن هواه فيك ورضاك فيمن
رضاه لك

يا من بعز علينا ان نفارقهم وجدنا ناكل شيئا بعدكم عدم
أهينك ونفسي من ان أشبه خالبا واستمطر جهاما واكرم غير مكرم واشكو « شكوى
الجريح الى العقاب والرخم » فما أبست لك الالندر وحركت لك الحوار الاتقن
وذلك الا لانام وسريت اليك الا لاحمد السرى لديك وانك ان سبت عقد امري
تيسر ومتى اعذرت في فك امري لم يتعذر وطلمك يحيط بان المعروف ثمرة النعمة
والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاء تعود به صدقة

واذا امرت اهدى اليك صنعة من جاهد فكأنها من ماله
لعلي التي المعصي بذراك وتستغفر في التوى في ظلك واستأنف التأديب بادبك والاحمال
علي مذهبك فلا اوجد للعاسد مجال لحظة ولا ادع للقادح مساع لحظة والله يسرك من
اطلا في هذه الطلبة واشكاي من هذه الشكوى بصنعة يصيب منها مكان المصنع وتستودعها
احفظ مستودع حسبا انت خليق له وانا منك حري به وذلك بيده وهين عليه .
ولما تواتر غرر هذا الثمر واتسقت درره فبرز طيف غلوائه وجر ذيل خيلائه عارضه
النظم مباحيا بل كايده مباحيا حين اشفق من ان يعطفك استعطافه وقيل بنفسك
الطاف فاستحسن العائدة منه واعتد بالفائدة له وما زال يستكد الذهن العليل والخطاير
الكليل حتى زف اليك منه عروسا مجلوة في اثوابها منصوعة بجليها وملا بسا
وبعد ان اورد القصيدة ^(١) قال :

هاكها اعزك الله بسطها الامل ويقضها الخجل لما ذنب التقصير وحرمة الاخلاص
فهب ذنباً لحرمة واشفع نعمة بنعمة ليتأتى لك الاحسان من جهاته ويسلك الى الفضل
من طرفاته دمشق محمد رشدي الحكيم

مخطوطات وطبوع

تاريخ اليمقوبي

مجلدان في ٩٤٠ من طبع بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٨٣

من جملة الكتب العربية التي نشرها الاستاذ هوتسما أحد علماء المشرقيات هذا السفر النفيس لابن واضح من اهل القرن الثالث للهجرة وقد عني بطبعه عنابة اخوانه المستغنين باحياء آثار الشرق الاسلامي فجاء وافيًا بالرأى سادًا ثغرة مبهمة في تاريخ الاسلام وقد وثقه باختلاف النسخ وشفعه بفهرس لاسماء الرجال وفهرس باسماء البلدان التي ورد ذكرها في متن الكتاب ليتيسر الانتفاع به على الطالب في الحال . والنسخة التي غفر بها الناشر ناقصة من اولها وفيها نقص من بعض قصورها لايجوز دون الانتفاع منها بدأ فيها المؤلف بذكر شيث بن آدم وبعد ان ذكر على عادة اكثر مؤرخي العرب تاريخ الانبياء تعرض للكلام على ملوك الامراتيين وملوك الموصل وبنو كس وملوك بابل والهند واليونانيين والروم وفارس وملوك الجرجي والصين ومصر من التبت والبربر والافارقة والحشة والسودان ومملكة الحجة وملوك اليمن وملوك الشام وملوك الحيرة من اليمن وحرب كندة وادبان العرب وحكامهم وازلامهم وشعرائهم واسواقهم وبهذا ينتهي المجلد الاول ويبدأ المجلد الثاني بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وتاريخ الاسلام وخلفائه الى ايام احمد المعتضد على الله بعبارة سهلة موجزة . واليك مثالين من الكتاب تعرف بهما طريقة ابن واضح قال في اسوان العرب :

« كانت اسواق العرب عشرة اسواق يجتمعون بها في تجارتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دماثهم واموالهم فمنها دومة الجندل يقوم في شهر ربيع الاول وروساؤها غسان وكلب اي الحيين غلب قام ثم المنقر بهجر يقوم سوقها في جمادى الاولى تقوم بها بنو تميم رعط المنذر بن ساوى ثم صحار يقوم في رجب في اول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ثم يرتحلون من صحار الى ربا يعشرهم فيها الجاندي وآل الجاندي ثم سوق الشحر شحر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه فرهود النبي ولم تكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ثم سوق عدن يقوم في اول يوم من شهر رمضان يعشرهم بها الاثاء ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الاقاني ثم سوق

صنعا يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الالبناء ثم سوق الراية بجحرموت ولم يكن يصل اليها الا بخفارة لانها لم تكن ارض مملكة وكان من عز فيها بزوكات كندة تخفر فيها ثم سوق عكاظ بالي نجد يقوم في ذي القعدة وينزلها فريش وصائر العرب الا ان اكثرها مضر وبها كانت مفاخرة العرب وحملاتهم ومهادناتهم ثم سوق ذي الحجاز وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي الحجاز الى مكة لحجهم وكان في العرب قوم يستقون المظالم اذا حضروا هذه الاسواق فسموا المحليين وكانت فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لتعصبة المظلوم والنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الدادة المحرمين فاما المحليون فكانوا قبائل من اسد وطى وبني بكر بن عبدمناة ابن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة واما الدادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن قحيم وبني حنظلة بن زيد مائة وقوم من هذيل وقوم من بني شيان وقوم من بني كلب بن وبرة فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس وكان العرب جميعا بين هؤلاء تضع اسلحتها في الاشهر الحرم . . . وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوهها البراق فيقال ان اول عربي كشف قتاعه ظريف بن غنم العنبري ففعلت العرب مثل فعله .

اما المثال الثاني فتقبس منه بعض الجلل فقط دلالة على حرية المؤلف وردا على من يقول ان مؤرخي بني العباس اضطرتهم السياسة ان يحملوا على بني أمية ارضا لبني هاشم مع ان من اولئك المؤرخين من طعنوا الطعن المبرح بالعباسيين انفسهم وهم معاصرون لهم كل ذلك بفضل الحرية التي تمتع بها العلم في القرون الاولى لبني العباس قال المؤلف بعد ان ذكر طرفا من سيرة المتوكل على ما هي معروفة ومن قبض عليهم واستعصى اموالهم من عماله . وفي هذه السنة امر المتوكل بلبس اهل الذمة الطيالة العالية وركوبهم البغال والحمير يركب الخشب والسروج التي فيها الاكرو ولا يركبون الخيل والبراذين وان يصيروا على ابوابهم خشبا فيها صور الشياطين . وقال : وامر المتوكل في هذا الوقت ان لا يستعان باحد من اهل الذمة في شيء من عمل السلطان وان تهدم الكنائس والبيع المحدثه ومنعوا من العبارة وكتب بذلك الى الآفاق . ولعل ادعا المتوكل الى تشديد الوطأة على اهل الذمة الانتقام منهم عما كان يأتيه ملوك الروم من غزو الاطراف فقد ذكر ابن واضح في ترجمة المتوكل ايضا انه لما وجه عنبسة بن اسحاق الضبي لم يتم فيها الا شهرين حتى اتاخت الروم على دمياط في خمسة وثلاثين مراكبا فقتلوا خلقا من المسلمين

واحرقوا الفأر وبمائة منزل وسبوا من المسلمات الفأر وثمانمائة وعشرين امرأة ومن نساء
التبط الف امرأة ومن اليهود مائة امرأة واخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط
وتهارب الناس ففرق في البحر نحو الفين واقاموا يومين وليثين ثم انصرفوا . ومع هذا
وجه « طافية الروم » برسل وهدايا وكانت يسيرة فبعث اليه باضعافها .

وترى من خلال السطور ان المؤرخ يكاد يصرح بسوء حالة المتوكل خصوصاً في
سخطه على بعض عماله وتعذيبهم ومما قاله فيه : وبني المتوكل قصوراً انفق عليها أموالاً
عظماً منها الشام والعروس والشبذاز والهديع والغريب والبرج وانفق على البرج الف الف
وسبعمائة الف دينار . قال وعزم المتوكل على المسير الى دمشق ووصف له برد هوائها وكان
محروراً فكتب الى محمد بن احمد بن مدير يأمره باتخاذ القصور واعداد المنازل وكتب
في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافد وصار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر
بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ ونزل دمشق يوم الاربعاء لثان بقين من صفر سنة ٣٤٤
فنزل تلك القصور فاقام ثمانية وثلاثين يوماً وبلغه عن بعض الموالي من الاتراك امر
كرهه فخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة الا في تزفة
ولم ير في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة احد واصابت الشام كله زلازل حتى
ذهبت اللاذقية وجبله ومات عالم من الناس حتى خرج الناس الى الصحراء واسلموا منازلهم
وما فيها وانصل ذلك شهراً من سنة ٢٤٥ وانتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزة
على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى وبني هناك مدينة سماها الجعفرية وحفر فيها نهراً
من القاطول ونقل الكتاب والداروين والناس كافة اليها وبني فيها قصراً لم يسمع بمثله
وذلك في المحرم سنة ٢٤٦

ومما رواه المؤلف في سيرة المأمون وحريته وعلمه ان بشر بن الوليد الكندي قاضيه
يبتدأ كان قد ضرب رجلاً قرف يائه شتم ابا بكر وعمر وامانه على حمل فلما قدم
المأمون (بغداد وكان متغيباً عنها في الشام) احضر الفقهاء فقال اني قد نظرت في قضيتك
يا بشر فوجدتك قد اخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم اقبل على الفقهاء فقال : افيكم
من وقف على هذا قالوا وما ذاك يا امير المؤمنين فقال : يا بشر بما ائت الحد على هذا
الرجل قال : بستم ابي بكر وعمر قال : حضرك خصومه قال : لا قال : فوكلك قال :
لا قال : قلناكم ان يقم حد القرعة بغير حضور خصم قال : لا قال : وكنت تأمن ان
يهب بعض الموم حصته فيبطل الحد قال : لا قال : فاهما كافران ام مسلمتان قال : بل

كافرتان قال : فيقام في الكافرة حد المسلمة قال : لا قال : فبهك فعلت هذا بما يجب
لأبي بكر وعمر من الحق افيشهد عندك شاهدا عدل قال : قد زكي احدهما قال : فيقام
الحد بغير شاهدين عدلين قال : لا قال : ثم أفت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر
رمضان قال : لا قال ثم جلده وهو قائم فالحدود يقام قال : لا قال : ثم شجته بين
العقابين فالحدود يشيع قال : لا قال : ثم جلده عريان فالحدود يعرى قال : لا قال ثم حملته
على جمل فاطفته فالحدود يطاف به قال : لا قال : ثم حبسته بعد ان افت عليه الحد
فالحدود يحبس بعد الحد قال : لا قال : لا يراقى الله ابوه بأثك واشاركك في جرمك
خذوا عنه ثيابه واحضروا الحدود ليأخذ حقه منه فقال له من حضر من الفقهاء : الحمد
لله الذي جعلك عاملاً بمحقوقه عارفاً بأحكامه نقول الحق وعمل به وتأمر بالعدل وتؤدب
من رغب عنه ان هذا يا امير المؤمنين حاكم اجتهد في رأيه فإخطأ فلا تنفض به الحكم
وتهتك به القضاء فامر به فحبس في داره حتى مات اه .

والكتاب كله فوائد غزيرة يشف عن علم صاحبه ونأشره فيما حبذا لو صححت العزائم
في الشرق لاعادة طبعه على صورة احسن تسبيلاً لاقتنائه لان معظم الكتب التي
نشرها علماء المشرقيات قصدوا بها فائدة بلادهم او فكراً خاصاً لهم ولذلك يقللون من
النسخ المطبوعة منها ما أمكن بحيث يتعذر على ابن الشرق اتياعها لغلاء اثمانها بالنسبة
لما ألف من رخص الكتب في بلاده وكثيراً ما يتطلبها فلا يظفر منها بذخعة لانها
تنفد في مدة قليلة ولا يصل خبرها الى الشرق الا وتكون قد نفدت او كادت .

تقويم البلدان

قلنا غير ما مر ان علماء المشرقيات من الفرنسيين قصروا في العهد الاخير عن
الحاق برصفائهم من الالمان وان ما ينشرونه اليوم من الكتب العربية دون ما كانت
اسلافهم ينشرونه في النصف الاول من القرن التاسع عشر وكتاب تقويم البلدان
تأليف السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل صاحب حماة اكبر شاهد على صحة
هذا القول فقد طبعه في باريز بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ الميسور بنود
والبارون ديميلان بمناظرة سلفتر دي سامي شيخ المستشرقين في فرنسا الذي افضل
كثيراً على العرب والعربية بما نشره من آثار السلف

وتقويم البلدان في الجغرافية العامة كما يفهم من اسمه عظيم الفائدة من وجوه أقلها ان
المؤلف كان من بعد الطبقة الراقية بين علماء القرن الثامن مدقق في كل ما خطه يده من

الصفحات فهو في ملوك الطوائف المتأخرين بعلمه وفضله بمنزلة المأمون من خلفاء العباسيين .

غفر الناشر ان من كتابه هذا بنسخة صححت على المؤلف وكتب عليها بقلمه بعض التعليقات او هي نسخة المؤلف فخامت والعناية قد بذلت بها من اصح ما طبع علماء المشرقيات

اعتمد المؤلف على ما كتبه ابن حوقل والادريسي وابن سعيد وعلى كتابي العزيزي والاقباب ونقل عنهم حتى في جغرافية بلادهم وكان ابو الفدا طائف سورية ومصر وقسماً من بلاد العرب من الحجاز وبلغ الفرات فقد كلامه ثقة فيما كتبه والغالب انه تعهد بعلي بن موسى في تقسيماته الجغرافية قال في مقدمته : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله حمداً يليق بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وبعد فاني طالع الكتب المؤلفة في البلاد ونواحي الارض من الجبال والبحار وغيرها فلم اجد فيها كتاباً موفياً بفرضي فن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب ابن حوقل وهو كتاب مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير انه لم يسطر الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا العروض فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ومع ذلك لا تحصل به فائدة تامة وكتاب الشريف الادريسي في المسالك والممالك وكتاب ابن خرداذبة وغيرها وجميعهم حذوا حذو ابن حوقل سيفتقد التعرض الى تحقيق الاسماء والاطوال والعروض واما الزيجات والكتب المؤلفة في الاطوال والعروض فانها عربية عن تحقيق الاسماء ومن ذكر صفات المدن واما الكتب المؤلفة في تصحيح الاسماء وضبطها مثل كتاب الانساب للسماعي والمشارك لياقوت الحموي وكتاب مزيل الارتباب عن مشبه الانساب الفيلس كلامه لابي المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلاني فانها اشتملت على ضبط الاسماء وتحقيقها من غير تعرض الى الاطوال والعروض ومع الجهل بالاطوال والعروض يجمل سميت ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي

ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة من غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بقاها فان ذلك امر لا مطمع في الاحاطة به فان جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشتمل الا على القليل الى الغاية فان اقليم الصين مع عظمتها وكثرة مدنها لم يقع اليها من اخباره الا الشاذ النادر ومع ذلك غير محقق وكذلك بلاد البلغار وبلاد الجرجس وبلاد الروس وبلاد السرب وبلاد

الاولى (الاولاح) وبلاد الفرنج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وممالك عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فان اسماء مدنها واحواها مجبولة عندنا لم يذكر منها الا القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضا بلاد كثيرة لجنوس مختلفة من الحبش والزينج والتوبة والتكرور والزيبل وغيرهم فانه لم يقع اليينا من اخبار بلادهم الا القليل النادر وغالب كتب المسالك والممالك انما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك فلم يحصوها عن آخرها ولكن كما قيل ما لم يعلم كله لا يترك كله فان العلم ببعض خير من الجهل بالكل وقد جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في كتب عديدة على ما صنف عليه ان شاء الله عند ذكرها وحذونا في تأليفه حذو ابن جرولة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسمينا كتابنا هذا تقويم البلدان ١٠

بدا المؤلف بذكر الارض والاقليم السبعة والابحار والاطوال والخلجان والبحيرات والانهار والجبال قال في الكلام على ترتيب كتابه : اما ترتيبه فانه مجدول على وضع التقاويم وقد ذكرنا في الاقليم الحقيقي والاقليم العربي في يمين والاراد بالاقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة المتقدم ذكرها والعربي كل ناحية او مملكة تشتمل على عدة كثيرة من الاماكن والبلاد مثل الشام والعراق وغيرها . قال وقد جعلنا في الجدول بيتا لضبط الاسماء فان في هذه الاسامي اسماء الجمعية لا يهتدى اليها بغير ضبط وكذلك في الاسماء المشهورة اسماء قد غيرتها العامة تارة بتغيير الفحة الى الكسرة او الفحة وبالعكس وتارة بزيادة الحروف في الكلمة وتارة بالنقص مثل ما يقولون في تبريز توريز وتستر شستر ومثل ما يقولون تدمر بضم التاء وهي بالفتح فلذلك احتجنا الى ضبط الاسماء وذكرنا في الهامش من فوق وتحت كلاما على ذلك الاقليم وتحديد ذكرك بعض مسافاته ونحو ذلك واما ترتيب الاماكن وتقدير بعضها على بعض في الذكر فانه امر لم يتهيأ لنا فيه ترتيب يرضينا فنبعنا فيه ابن حوقل وابتدأنا بجزيرة العرب لكون بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه افضل الصلاة والسلام فيها .

ومع ان مؤلفنا اعتذر بتعذر الوصول الى اخبار بلاد الافرنج فقد ذكر منها جملة صالحة فذكر منها مملكة بولية على بحر الروم عند فم جون البنادقة من غربيه وهي تقابل مملكة الباسيلية التي من البر الآخر وملك بولية كان يقال له في زمانه الريدشار وذكر بلاد فلورية والمر (المورة) والمغبوط وفرنس والنسقاله (ايطاليا) واسنبري والروس وفرنسة والمانية وذكر مدينة باريز فقال : مدينة بريس قاعدة فرنسا وهي ثلاث قطع

كما هي مدينة الباب فالوسطى التي في الجزيرة لفرنسيس سلطان الفرنج والجنوبية للهند
والشمالية لسائر قوامهم وتجارهم ورعيتههم وذكر عن ابن سعيد بلاد الباشقرد وهم
ترك جاوروا اللبانيين على عهد متواتق وهم مسلمون من جهة فقيه تركاني نصرهم بشرائع
الاسلام واكثر عمارتهم على نهر دوما وعلى جنوبيه قاعدتهم قرات وهي مما دخله النهر
وغربوه واهلكوا اهلهم وفي شرقيها بلاد الصنقر (المجر) اخوة الباشقرد تنصروا والمجاورة
اللبانيين ولهم مدائن وعمار على النهر الكبير مستعجمة وقاعدتهم مدينة تربوا وذكر بلاد
التبردية وجنوة وبيزة والبندقية ورومية وبرشان (قاعدة امة البرجان) قال فيهم
وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية وبادوهم حتى لم يبق
منهم احد ولا بقي لهم اثر وذكر مدن اثينية وقسطنطينية وتسمى بوزنطيا وماقدونية
وصقبي وايزو وطرنو وبلاد (بلغار) وطلوزة قال ابن سعيد وفي شرقي بردال مدينة
طلوزة يقال ان صاحبها الفرنجي في الجبال التي في شماليه وشرقيه ما ينيف على الف حصن
وهو قريب من صاحب فرسة والنهر في جنوبها يصعد منه مراكب البحر المحيط اليها
بالقصدير والنحاس اللذان يجلبان من جزيرة انكسورة وجزيرة ارلندة وتحمل على الظهر
الى نربونة ومنها تحمل في مراكب الفرنج الى الاسكندرية وذكر مدينة مرشيلية ومدينة
سبقلوا في شمالي جبل جرواسيا قال فيها نقلا عن ابن سعيد انه يصنع فيها السيوف
الالمانية المشهورة ولها معدن حديد يجلبها ويقال ان في مكان منه معدن حديد مسموم
يصنع منه السيوف والخناجر لا يبيع الملوكة اكتسابها لغيرهم وفي شرقيها وممت عرضها
مدينة نفصين (حصن ؟) وهي مخصصة للماء المانية وحكائهم وذكر عراز ولوشيرة
وسينقو ومشقة وبرغادما ومن هذه المدن ما دثر الآن او تغير اسمه .

وقصارى القول ان كتاب ابي الفدا من اصدق كتب الجغرافية العربية التي ألقت
في القرون الوسطى وكأنها ألقت في هذا القرن لم يفض صاحبها الا فيما علم فكان حجة
ثباتا في كل ما روى تكاد لا تقرأ له خرافة ينكرها طبعك وثنا في ارتقاء العصر الحاضر
فياحبذا لو صحت همة احد لطبعه فان نسخه فقدت ولا تكاد توجد الا في مكاتب
الخاصة ودور الكتب العامة



اخبار وافكار

بدائع الصنائع
والمرأة المسلمة في العصور المتقدمة

تكلمتم في الجزء العاشر من المجلد الخامس على كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وينتم فضل الكتاب وماله من المكانة عند المشتغلين بفقهاء الامام الاعظم فأحببت ان اتحف قراء المجلة بترجمة المؤلف وترجمة استاذة وبنت استاذة زوجته فاطمة الفاضلة فانها افودج مما كانت عليه الامة الاسلامية من العناية بتربية النساء

قال الفاضل محمد عبدالحلي اللكنوي الهندي في طبقاته المسماة بالفوائد البهية في تراجم الحنفية في صفحة ١٥٨ : محمد بن احمد بن ابي احمد ابو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء استاذ صاحب البدائع شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقه على ابي المعين ميمون الكحولي وعلى صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين ابي بكر صاحب البدائع وكانت تفقهت على ابيها (وحفظت تحفته) وكانت زوجها يخطي^١ ثرده الى الصواب وكانت الفتوى تأتي فخرج وعليها خطها وخط ابيها فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط ابيها وخط زوجها ١٠هـ

وقال في الكتاب المودوم بمدينة العلوم (وهو من البقية الباقية من نفائس مخطوطات مكتبة المدرسة العثمانية بحلب) ومنها (اي من كتب الحنفية) كتاب التحفة للشيخ الامام محمد بن احمد بن ابي احمد الامام علاء الدين السمرقندي وهو الذي تزوج الكاساني ابنته فاطمة وشرح تحفته وفاطمة هذه كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً وربما ترد فتوى زوجها الكاساني ويرجع هو الى قولها وكانت الفتوى اولاً تخرج وعليها خطها وخط ابيها السمرقندي ثم كانت تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني وكانت في يدي فاطمة سواران (باعتبارها) وعملت بالثمن الفطور كل ليلة بالخلوى واستمر ذلك الى اليوم ولهذا سميت تلك المدرسة بالخلوية اهـ (لم يزل هذا اسمها وهي من آثار نور الدين الشهيد عمرها سنة ٥٤٤)

وقال في الفوائد البهية ايضا في صفحة ٥٣ : ابو بكر بن مسعود بن احمد علاء الدين

ملك العلماء الكاساني صاحب البدائع شرح تحفة الفقهاء اخذ العلم عن علاء الدين محمد السمرقندي صاحب التحفة عن صدر الاسلام أبي اليسر البزدوي وعن أبي المدين ميمون المكنولي وعن مجد الأئمة السرخسي وله كتاب السلطان المبين في أصول الدين وتفقه عليه ابنه محمود واحمد بن محمود الغزنوي صاحب المقدمة الغزنوية مات في عاشر رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودفن بظاهر حلب عند قبر زوجته فاطمة ابنة صاحب التحفة الفقيه العالمة والدعاء عند قبرهما مستجاب قال الجامع قال علي الفارسي انه مصنف البدائع الكتاب الجليل والسلطان المبين قيل ومياه المعتمد في المعتمد ومن شعره

سبقت العالمين الى المعالي بصائب فكرة وعلومه
ولاح بحمكتي نور الهدى في ليل بالفضلا لمدمحه
يريد الجاهلون ليطفؤا وبأبي الله الا ان يته

وتفقه علي محمد بن احمد السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه وزوجه شيعته ابنته فاطمة وقيل ان سبب تزويجها انها كانت من حسان النساء وكانت حفظت التحفة لابنيها وطلبتها جماعة من ملوك بلاد الروم ولما صنف صاحب الترجمة البدائع وهو شرح التحفة وعرضه على شيعته ازداد به فرحاً وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك ففعلوا سيفه عصره شرح تحفته وتزوج ابنته وارسل صاحب البدائع رسولا من ملك بلاد الروم الى نور الدين محمود بحلب وكان قبل ذلك قدم الرضا السرخسي صاحب المحيط الى حلب فولاه نور الدين الخلاوة وانفق هزله فولاه نور الدين الخلاوة فلتقاء الفقهاء بالقبول . وقال ابن العديم سمعت ضياء الدين الحنفي قال حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابراهيم حتى بلغ قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالتقوى الثابت) فخرجت روحه ودفن عند زوجته داخل مقام الخليل بظاهر حلب والدعاء عند قبريها مستجاب ويعرف عند الزوار في حلب بقبر المرأة وزوجها انتهى قلت ان الاشعار التي نسبها اليه وقد نسبها حسن چلي في حواشي التلويح الى الحكيم عمر الخيام والله اعلم . ونسبته الى الكاساني بالكاف ثم الالف ثم السين المهمل ثم الالف ثم التون بلدة وراء الشاش ذكره السمعاني وقد يقال سيفه نسبت الكاساني بالمعجمة بدل المهمل وفي مشبه النسبة للذهبي فاسان بلد كبير بتركستان خلف سجود واهلها يقولون كاسان وكانت من محاسن الدنيا خربت باستيلاء الترك عليها ومنها العلامة علاء الدين الكاساني من ائمة الحنفية بدمشق (صوابه بحلب) أيام الملك نور الدين انتهى

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار في اوائل باب الطهارة مانصه : هذا الكتاب (اي البدائع) جليل الشأن لم ار له نظيراً في كتبنا اه
وقد أكثر العلامة المذكور في حاشيته من النقل عنه والمنبوع لما يرى انه حينما يأتي بالنقل عنه يكون قد آذن بالاتيان بما فيه فصل الخطاب في المسائل المختلف فيها .

فكتاب يلقب المؤرخون صاحبه بملك العلماء ويشهد فيه العلامة ابن عابدين هذه الشهادة ويكون عمدته في حاشيته التي عليها المعمول في عصرنا هذا يدل دلالة واضحة على عظم فضل مؤلفه وجلالة قدره وغزارة مادته ومع هذا الفضل والعلم الزاخر كانت زوجته فاطمة ربما ردت فتواء ورجع هو الى قولها ولا ريب انها لم تقدم على ذلك الا حينما آتت من نفسها انها ضاعته في العلم وبلغت مبلغه في الفضل

وحسبنا هذا دليلاً على ما وصلت اليه المرأة المسلمة من الرقي في تلك العصور وقابض ايها القاري^١ بين امثال هذه الفاضلة وبين المرأة المسلمة في عصرنا هذا وقل لي رعا الله هل يوجد اليوم في مشارق الارض ومناربها امرأة مسلمة حازت من العلياء هذه الدرجة وقل لمؤلاها العلماء القائلين بتحريم تعليم المرأة الكتابة^٢ كان صاحب التحفة السمرقندي الذي هذب ابنته فاطمة وعلمها ما علمها جاهلاً بالحكم الذي يعلمه هؤلاء

فهل لنا ان تأخذ من ترجمة هذه الفاضلة درس عظة يوقظنا من سباتنا وبيعثنا من اجداث خمواتنا ويؤشدها الى النهوض الى تعليم بناتنا واجباتهم الدينية وحوادثهم الدنيوية لنجي في الدنيا حياة طيبة ونعيش في الآخرة عيشة راضية .

محمد راغب طباع

حلب

(نبيه) علم مما تقدم ان بدائع الصنائع هو شرح لتحفة الفقهاء لكن المتصفح للكتاب لا يرى فيه المتن البتة وذلك لانه شرح على طريقة المتقدمين اي انه اتى الى كل بحث من ابجاث التحفة فوسع دائرته وجعله فصلاً ومزج المتن مع الشرح مزجاً لا يمكن التفرقة بينهما الا لمن يرى التحفة على حديثها فالكتاب عبارة عن فصول متتابعة

تجدد ايطاليا

كشأ احدهم في المجلة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها ما محصله : كلما خرجوا جانباً من جبال الالب ينزل على ايطاليا ينزع من الخصب والمال وينا تجدد العجز مستحكما سيفه ميزانيات المانيا وانككتها وفرنسا ترى ميزانية ايطاليا يزيد دخلها على خرجها فزادت تجارة ايطاليا الخارجية منذ اواخر القرن التاسع عشر بقوة عجيبة لم تضاهها به التجارة المالية ولا

تجارة الولايات المتحدة . نمت تجارة اميركا ٨٥ في المئة والمانيا ٨٤ وفرنسا ٥٠ وانكثرت
٤٠ اما ايطاليا فقد زادت ٩٩ في المئة . ومدينة ميلان معهد المقدمين من المالبين كما
هي معهد دناءة الاشتراكية المتحمسين ولكنهم يراعون النظام في حركاتهم ومطالبهم
وما قط اهرقوا دمًا حرامًا او اغتصبوا مالا حرامًا فالاشتراكيون على جراتهم والماليون
كذلك ويكفي ان مدبني تورين وميلان قد اقدمتا على صنع السيارات (الاتوموبيل)
قبل فرنسا ورمجتا ارباحاً طائلة

وبعد فان ايطاليا مخصبة برجالها كما هي مخصبة بالاعمال والواردات ومعدل نفوسها
أكثر من المانيا ففي كل كيلومتر من بلادها ١١٧ ساكنًا على حين لا يوجد في كل
كيلومتر من المانيا سوى ١٠٤ اشخاص . وينسب الاجتماعيون نفوس الشعب الابطالي
المتزايد لاعتیاد الكور في الزواج فقد تجد عروساً في الخامسة عشرة من عمرها وأماً
في السادسة عشرة في كل خطوة تسيرها في البلاد ويغلب على العامل الابطالي الفئاعة
والعمل والاقتصاد وهو مولع بحب الأسرة فإذا ابتعد عنها فأنما يبتعد ليكون عوناً لها
ولا يغادر المهاجر الابطالي بيته الا ليوطد دنائه وهو ابدًا يحلم بالعودة اليه

العامل الابطالي مثال الفئاعة والتوفير والصبر أعطه من الاجرة ما يموت من مثله العامل
الانكليزي وتراه مع ذلك يتنصّد من اجرة جانباً في صندوق التوفير نعم ان اجرة اليد العاملة
في ايطاليا رخيصة ولكن الوفود فيها قليل فتكاد لا تجد في تلك البلاد اخصية فخماً جريباً
وليست ميناء جين دون مرسيليا تجارها فاذا كانت مارسيليا تغرف لسان دخلها البضائع لنقل
منها الى غير هافان جين مصرفهم لداخلية ايطاليا فقد وقف عليها سنة ١٩١٠-١٣ الف
سغينة في حين وقف على مارسيليا ١٧ الفاً وكان حظ جين سبعة ملايين طن من
البضائع وحظ مارسيليا ثمانية واعتصاب العملة غير مأوف كما هو مأوف في مارسيليا
لان العملة يعرفون ان مصالحهم مرتبطة بمصلحة معلمهم ولذلك يحلون بينهم ~~كل~~
اشكال يقع بالحسن

قال ولقد اوشكت ايطاليا ان تموت مرتين وما لافته من الشدائد لا يخلو من هبة
فقد ماتت للمرة الاولى عند ما دامها برايرة الشمال وجعلوا أعزّة اهلها اذلة وذلك لانها
نقضت عهد وطنيتها واضدت اخلاق ساكنيها واهملت زراعتها واضمقت جيشها
فاعدت البابوية الحياة الى رومية وبدلاً من تأليه قيصر صارت تذكر اسم الله ثم جاء
دور النهضة واتت بالفنّين والشاهرين ورجال الحرب والسياسة من ابنائها . وتراجع

عمران رومية للمرة الثانية بما حدث من الفوائل بين البابا والامبراطور حتى اذا كانت الثورة الفرنسية انتفضت ايطاليا كما انتفض المصفر بلله القطر . وفي اواسط القرن التاسع عشر نشأت تلك الثورة الوطنية التي كان من نتائجها وصول ايطاليا الى ماوصلت اليه . كانت ايطاليا منذ ستين سنة منقسمة الى ممالك حقيرة كلهم على وضهم فمن مقاطعة صقلية الى رومان الى اميليا الى طوسكانيا الى يتيون ومن كان يرجو ان بدأ صناع تقدر على عجن هذه الاجزاء المتخلة لتوحيدها وارجاعها الى الحياة وكم من ايطالي عظيم مات وهو يفكر في هذا الامر الجلل ويرسم هذه الخطة العجيبة

ولقد تهيأ لاطاليا مثل غاريبالدي الذي قاد فتياها ومازيني الذي كانت حظوته من الشعب سلاحاً اقوى من كل سلاح وكاثور رجل السياسة الهدي احيا الزراعة كما لم شعث الجيش واقام نصاب العدل والحق كما فاوز اوربا فجعل ايطاليا وطناً

وهكذا بني بناء الوحدة الايطالية بسرعة ومواد متينة على ارض لا تزهزع فتوطدت دعائم هذا البناء منذ خمسين سنة وعادت رومية عاصمة ايطاليا الجديدة وميلان وتورين ونابل هي مدن العمل النافع الراجع . ولا بسيزيا وجين هما ولا مراة ثغران تتبعث منها الحياة القوية فاطاليا مملوءة باماض وهي كذلك في المستقبل ترى فيها بقايا العاديات كما تجد فيها المجددات والمبتدعات وان ارواح عظماء رجالها المفقنين امثال ميشل آنخ وليوناردي قنسي لتسر بما ترى الآن من معامل لومبارديا المائية الكهربائية العجيبة والمناطيد الطائرة السابحة في الفضاء . كم من آمال تحققت في ايطاليا ففيها ارادت مملكة القياصرة ثم البابوية ان تلتقي السلام في العالم وفيها نشأت الخطط الشريفة في الابنية الاجتماعية والالهامات الصناعية العجيبة وكل ما ينرض بالامم ويعلي مقامها قد بدأ في صور بدبعة لطيفة فاطاليا من ثم معمل السكال واخيل

المقعدون والصناعة

في كل مجتمع افراد مصابون بعاهاات تمنعهم عن تعاطي كثير من الاعمال فما هي الوسائل التي يجب على المجتمع ان يقوم بها نحوهم ؟ يجيب الانسان لاول وهلة انه يجب عليه ان يعلمهم حرفة يجترفون بها وهذا ما قامت به المدرسة الخيرية في مدينة نيويورك من المساعدة للانفعا من المقعدين فقد رأث بعد البحث العميق ان صنعة الصياغة اوفق ما يكون لهؤلاء المتكودي الحظ لاسباب اهمها ان هذه الحرفة لا تنطلب كثيراً القوة الجسدية وفي استطاعة الصانع ان يعمل طول النهار دون ان يضطر الى الوقوف وطلب

صناع ماهرين في هذه الصنعة متواصل ولا يخشى عليها من نهات المهاجرين الاقوياء فيفسدونها على اهلها كما افسدوا كثيراً من الصناعات البسيطة اذ هذه الحرفة تحتاج الى مهارة لا تثنأى الا بصرف وقت غير قصير في تعلمها. فل هذه الغاية انشأت تلك المدرسة صفاً للمتعدين يتعلمون فيه هذه الحرفة تحت رعاية صانع ماهر وهم الآن يصلحون ما يدفع اليهم من العقود المجوهرات المنتشرة بالاجرة عدا عما يصيغونه ويبيعونه على حسابهم والمدرسة ستجد لهم محال في المعامل متى اتقوا تعليمهم.

نادي السجناء

كثير من الاحداث الذين يدخلون السجون لجرائم ارتكبوها ثم يخرجون منها عازمين على ان يكونوا مستقيمين في مسلكهم ولكنهم لا يجهدون عملاً ساعة خروجهم ينتج لهم منه ما يقوم باودهم اذ الناس تنجهم عن استخدامهم لعدم الثقة بهم فيجبرون على ارتكاب جرائم اخرى طلباً للرزق فيخرجون في اعماق السجون فلمساعدة امثال هؤلاء الاحداث أسس في بركن احد احياء مدينة نيويورك ناد يأون اليه ريثما يحصل الواحد منهم على عمل يقات منه فعندها يترك النادي. والآن يوجد كثير من ساعدهم هذا النادي يقومون باعمال مفيدة وهم يمدونه بما لديهم من الوسائل

طهارة اللبن

قال احد فلاسفة العصر « حقق لي طهارة اللبن الذي يتناوله الطفل أو كذا لك سلامته » وما زال علماء العالم منذ امد بعيد يبحثون عن الوسائل لحفظ اللبن من الجراثيم المتعددة الانواع التي تضر بصحة البالغين فضلاً عن الاطفال فل هذه الغاية اخترع وعالم مؤلف من وعائين الواحد ضمن الآخر الاول من المعدن والثاني من الخشب وبينهما فتحة لوضع الجليد لكي يحفظ اللبن رطباً والوعاء محكم يبر من الوعاء الداخلي أنبوب يفرغ الى وعاء آخر خارج الاثنين ذو غر كل غرة تشير الى كذا من الوزن فلا يشكف البائع الا لفتح أنبوب يفرغ الى الوعاء المعبر ويضع فيه قدر ما يطلب الزبون ثم يغلقه ويفتح أنبوباً آخر يفضي الى ابريق الزبون فبهذه الوساطة يكون قد حفظ اللبن من الفساد بالحر ولم يدخل اليه شيء من الجراثيم وقت المناولة

الراحة في السفر

قد فتح حديثاً في مدينة بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية نزل يسع ٣٢٠ نزيل وهو نزل حسن البناء والفرش ذو طابقين وفيه ادارة خصوصية لبيع بطاقات السفر في

السكك الحديدية فالنازل فيه لا يحتاج الى الخروج منه اذا كان يريد السفر في داخل البلاد لا يتباع البطاقة وشحن اثقاله

اصلاح زبي المرأة

اهمل النساء في ملابسهن مقلضيات الصحة وراعين شروط الجمال فعمدوا الى المشد التماساً لخدمة الخصر وبرز الصدر وارتدين بروداً لا تدفع تأثيرات الطقس الى غير ذلك مما اتيك الاجسام واعدها لعوادي الضعف والوهن والنساء لاهيات بالمظاهر الخلابة عما وراها من الخمول والسقم ولما استفحل شر هذا الداء تألفت في المانيا جمعية نسائية غرضها اصلاح الازياء على ما تقتضيه شروط الصحة وانضم اليها كثيرات من عليبة نساء الالمانيات واصدرن مجلة وضعن فيها رسوم الازياء الصحية ودعت الاديبات فيها الى خلع الازياء الجديدة وفي مقدمة اولئك الكتاتيب ملكة رومانيا

ومرت الحركة الى فرنسا فاهتمت مجلاتها بهذا الاصلاح ونشرت فيه الفصول الضافية وحررت الجمعيات النسائية في فرنسا على اقتفاء اثر الجمعية الالمانية وانتشرت هذه الفكرة في بلاد الانكليز فكانت الملكة اول من ابرزت الفكر الى حيز العمل فاصدرت منشوراً لنساء الشرفاء صرحت فيه انها لا تقبل في البلاط الا من ارتدين باكسية واسعة عينتها هن وانكرت الترف والتخففة على نساء الاغنياء وعسى ان نهض نساء الشرق الى مجارة اخواتهن في البلاد الراقية

السكر الآسيوي

يصطنعون في الشرق انواعاً من السكر غير معروفة في المغرب منها ما يصطنع في نيبون ويدعى سكر الرز ويسميه الاهلون ميزيام اي السكر السائل لانه غير جامد تماماً ولذلك لا يمكن تداوله في التجارة وانما يرسلون منه زجاجات محكمة السد تحتوي الواحدة منها من ٥٠٠ غرام تباع بنحو ثمانية غروش وتلك الزجاجات تحفظ السكر من الفساد ولكنها اذا استمرت مفتوحة هتية خثر السكر ونفع طعمه والتجار يستعملونه لاصاق الغلافات وطوايع البريد و يصطنع الصينيون نوعاً آخر من الجاورس فيستخرجون عصارة النباتات ويضعونها بالما في اوعية صغيرة معرضة لحرارة الشمس فتنبخر المياه وبرسب في قعر الوعاء مقدار من السكر ينشرونه على مائدة